الرسالة

العيد الثالث عشر للثورة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الموضوع		الكاتب	الصفحة
● ثورة لله وللانسان	:	بقلم احمد حسن الزيات	٢
● ثورتنا والدروس التي اوحت بها الى الفكر السياسي المعاصر	:	للدكتور محمد عبد الله العربي	٦
● ثورتنا .. ثورة أصيلة	:	للدكتور سليمان الطماوي	١٠
● الشرارة الأولى «قصيدة»	:	للشاعر محمود حسن اسماعيل	١٤
● جمال عبد الناصر والعروبة	:	للدكتور احمد الحوفي	١٥
● الثورة والتنظيم السياسي	:	للدكتور احمد كمال ابو المجد	١٨
● الرقابة على الطريق الاشتراكي	:	للدكتور عبد العزيز كامل	٢١
● صيحة عربية «قصيدة»	:	للشاعر عبد المنعم عواد يوسف	٢٥
● نهج الأحرار من قديم	:	بقلم محمد الغزالي	٢٦
● أصداء الثورة في الشعر العربي	:	للدكتور ماهر حسن فهمي	٢٩
● بين عهدين «قصيدة»	:	للشاعر محمود غنيم	٣٢
● ثورة الحرية «قصيدة»	:	للشاعر احمد عبداللطيف بدر	٣٤
● ثورتنا الثقافية	:	بقلم محمد عطا	٣٥
● رسالة الى وحدوي سجين «قصيدة»	:	للشاعر علي محمد حمد	٣٨
● الثورة والاذاعة	:	للدكتور محمد المعتصم سيد	٣٩
● ثورتنا في الشعر المعاصر	:	بقلم عبد الرحمن البجاوي	٤١
● دور الشعر في التمهيد للاشتراكية	:	بقلم اسماعيل الصيفي	٤٤
● حول الأدب في اسبوع	:	بقلم عبده بدوي	٤٧
● ناصر العرب «قصيدة»	:	للشاعرة سلوى الحوماني	٤٩
● رسالة العلم «ريادة الفضاء»	:	للدكتور عبد الحليم منتصر	٥٠
● معرض أساتذة الرسم والأشغال	:	تقديم فاروق حافظ عمر	٥٤
● الكتب نقد وتعريف	:	بقلم تحسين عبد الحي	٥٥
● أغنية للنصر والسلام «قصيدة»	:	للشاعر يسن الفيل	٥٩
● قراءات في المجلات العربية	:	تقديم محمد العواني	٦٠
● هتاف الثوار «قصيدة»	:	ترجمة عبد الواحد الامبابي	٦٢

الاشتراكات:
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة:
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد: محمد فريد - القاهرة.

ثورة لله وللإنسان

بقلم: أحمد حسن الزيات

تاريخ الانسان حافل بالثورات والانقلابات ، ولكنها كانت في الاكثر الأغلب غزوات جنس لجنس ، او نزوات طبقة على طبقة . تقوم اما استئثارا بخير ارض ، واما استبدادا بحكم شعب . اما مبادىء العدل الاجتماعي ، والخير الاشتراكي ، والاخاء الانساني ، فقد كانت تذكر – اذا ذكرت – على سبيل النفاق الذى يحجب الضمير الفاسد ، ويستر النية السوء . كانت على افئدة الغزاة والسنة الساسة اشبه بالغطاء الذهبي على الناب العضوض ، او بالصبغ الارجواني على الظفر الحاد !

لم تقم ثورة فى التاريخ كما قامت ثورة مصر . قامت على اساس من الحق الطبيعي الصريح ، والراى الذاتي الحر ، ولم تقم على شهوة تطلب السيطرة ، ولا على قوة تبغى الاستعمار : قامت على السلام لا على الحرب ، ونشات فى النظام لا فى الفوضى ، ونبتت بالعمل لا بالامل ، وسقيت بالعرق لا بالدم ، واثمرت للمنفعة العامة لا للمصلحة الخاصة ، واعتمدت على الاشتراكية المسلمة لا على الراسمالية المشركة ، ونبعت من ارادة الشعب الأصيلة لا من مشيئة القوة الدخيلة ، وبرهنت بالفعل للشعوب المستضعفة المستذلة ان اغلال العبودية وأثقال الطغيان مهما تهد من بنيانها على تتابع القرون ، وتضعف من ايمانها بتوالى الخطوب ، لابد ان تشعر يوما من الأيام ان لها قوة تاتى العجب اذا ارادت ، وان لها ارادة تحقق المستحيل اذا وعت ، وان لها وعيا ما دام لها عقل ، وان لها عقلا لا يطفىء نوره الا الجهل ، ولا يميت شعوره الا الرق . وهيهات ان يجعل الله الليل سرمدا على العيون فلا تبصر ! انما هو ليل يعقبه صباح ، ونوم تتلوه يقظة . ولقد طال الليل على مصر حتى نسيت النور ، وثقل عليها النوم حتى جهلت الحياة ... طال ليلها فى الاستعباد خمسة وعشرين قرنا لم يتول فيها امرها وخيرها احد من بنيها ، وانما كانت طوال هذه القرون نهبا للغزاة والفاتحين من كل جنس ومن كل لون ومن كل أرض ! حتى أراد الله أن تنبعث نخوة الفراعين والعرب فى نفوس فئة من شباب هذا الوادى نشأوا من صميم أهله ، ودرجوا فى حقول قراه ، فانتفضوا انتفاضة العزة ، وثاروا ثورة الكرامة ، ثم نفخوا فى الصور ، فنهض الجيش ، وانبعثت الموتى ، وحكم الفلاحون مصر ، وشعر المصرى لأول مرة فى تاريخه أن أرضه له ، وان حكامها منه ، وان ما ينتجه يدخل فى يده ، وان ماينفقه يعود الى بلده . وقد كان من قبل ذلك يزرع وصاحب الأرض يحصد ، ويصنع وصاحب المال يبيع ، ويدفع وصاحب الحكم يتمتع ، ويشقى وصاحب العرش ينعم !!

فاليوم ــ وليس قبل اليوم ــ نستطيع أن نقول بمل، الفم ان جهادنا ختم بالنصر، وان نصرنا كلل بالفخر ، وان فخرنا فخر من سعى فادرك ، وجاهد ففاز ، وغالب فغلب !

لم يعد على راس دولتنا طاغية غريب الدم ، ولا على راس حكومتنا سياسي خسيس الهوى ، ولا على أرض وطننا دخيل فاسد النية ، وذلك هو الاستقلال الكامل الذى تسمو به النفوس ، وتنهض فيه العزائم ، وتطيب معه الحياة !

كان للأدب فى قيام الثورة اثر ، وكان للثورة فى نهوض الأدب اثر ، ولكن الأثرين لم يكونا من طبيعة واحدة : اثر الأدب فى الثورة طبيعي مباشر ، كاثر الماء فى الانبات والنار فى الانضاج والنور فى الهداية ! واثر الثورة فى الأدب تبعي غير مباشر ، كاثر تقسيم الوحدة الصناعية او تثليث الدورة الزراعية فى الرخاء العام . فالشأن فى فكر المصلح أو الأديب أن ينبه الغافل الى انه حي ، ويشعر الجاهل بانه انسان ، فاذا أدرك الأفراد يوما ان لهم حرية تقيد ، وكرامة تهان ، وحقوقا تغصب أبوا الانقياد وثار الشعب . والشأن فى ثورة الأمة أو الجماعة أن تثور على طغيان ملك ، أو فساد حكم ، أو استعلاء طبقة ، او عدوان فقر ، فهى تعنى أول ما تعنى بازالة ماترك الاستبداد والفساد والترف والفاقة فى سياسة الدولة وفى حياة الأمة من التخلف والتعسف والتفاوت والبؤس . ولذلك بدأت الثورة الناصرية بعلاج المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى وقت واحد ، فاقامت نظام الحكم على الأساس الديمقراطى الثابت ، وعالجت معضلة السودان بالعلاج الناجع الحاسم ، وحلت مشكلة الاحتلال بالجلاء المطلق الناجز ، وكفكفت عادية الأحزاب بالأمر القوى الحازم ، وقوضت صرح الاقطاع بتحديد الملكية العادل . ورفعت قواعد العدالة فى البناء الاشتراكى الحق ، ثم مهدت طرائق العمل المثمر ، ووسعت دوائر الانتاج الضخم ، ويسرت الأداة والحياة للعامل والفلاح، لأنهما عماد الثروة، ووفرت العتاد والاستعداد للجيش والشرطة لأنهما عدة الوطن .

كل ذلك وطائه الثورة ورأت انه أحق بالتقديم وأولى بالتحقيق لأنه النتيجة المحتومة لها ، والغاية المقصودة منها ، ولأنه النظام الذى سيتسق عليه كل نظام ، والاصلاح الذى سيشتق منه كل اصلاح . فلما قام البناء وتم على الوضع الذى تريده نظرت فى الروح الذى يسكنه ، وفى العقل الذى يدبره ، وفى الذوق الذى يزينه ، وفى الحب الذى يبقيه ، ايمانا منها بأن الشعب لا يعيش من غير روح ، والجيش لا يسير من غير موسيقى ، والعمل لا يثمر من غير علم ، والنفس لا تسمو بغير ادب ، والحياة لا تجمل من غير فن ، والحضارة لا تكمل من غير دين ، والعالم لا يتقدم من غير مثل ولا غاية . فاتجهت الى التربية والتعليم والتثقيف اتجاها ثوريا لا يعرف التردد ولا التلكؤ ولا الهوادة: فهى تبحث المناهج ، وتفحص الكتب ، وتنشىء المدارس ، وتصلح الأنظمة وتوفر المعلمين وتعدل القوانين وتعمل لاقرار الحياة الفكرية على قواعد ثابتة وأصول منتجة .

ولقد قلت ذات ليلة من الليالى السنة الرابعة للثورة من كلمة أذعتها عن علاقة الأدب بالثورة :

« كان واجب الأدب قبل الثورة أن ينبه ، وسيكون واجبه بعدها أن يوجه . وسيؤدى رجال السيف ما عليهم من الدين لرجال القلم ، فيعاونونهم على أداء التوجيه المرشد كما أعانهم هؤلاء على التنبيه الموقظ ، وسيعنى قادة الثورة المباركة بروح هذا الشعب كما يعنون بمادته ، وسييسرون له غذاء عقله ، كما ييسرون له غذاء جسمه .

وستجد صحافة الأدب الرعاية لتبقى ، وسينال شباب الأدب التشجيع لينتج . وسيظفر مجمع اللغة العربية بالمال لينشر انتاجه الضخم ، وستنشأ في القاهرة دار لترجمة العلوم والآداب والفنون فتعيد للناس عهد بيت الحكمة في عصر المأمون ، ودار الحكمة في عصر الحاكم ، وستعد العدة لتأليف دائرة المعارف العربية فانها بحكم تأليفها وطبيعة موضوعها واعتبار الغرض منها ووجوب الثقة بها تقتضى التضلع والتخصص والاحاطة فلا يمكن أن يستقل بعملها فرد ، وستظل مصر مشرقا لنور الاسلام ، ومبعثا لنهضة العروبة ، ومقرا لزعامة الأدب ، وصلة العلم بين الغرب والشرق ، وبرزخ الحضارة بين القديم والحديث .

تلك أماني مجملة سقتها مساق الوعود المنجزة اعتقادا بأن الاصلاح في هذا العهد السعيد سيشمل كل جانب ويحقق كل أمل .

وقد تحققت ولله الحمد وللثورة المجد هذه الأماني في ثلاث عشرة سنة على الوجه الذي لا مطمح وراءه ولا غاية بعده : رجعت الثورة بالأزهر العتيق الخالد الى طبيعته الأولى ليوفق بين روحية الانجيل ومادية التلمود ، فيصلح الدنيا بالدين ، ويقرن العلم بالعمل ، ويكون جامعة لأبناء العروبة واخوان الاسلام يتوافقون عنده على وحدة العقيدة والطريقة والغاية ، ثم أنشأت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لرسم الخطة ويوجه النهضة ويقود النشء ويستحث القرائح بالجوائز ، ويحدد المعالم بالمؤتمرات ، ويعالج العلة التي سببت ضعف الأدب وقللت من نبوغ الأديب . ثم اتصلت بالفكر العام اتصالا مباشرا تغذيه وتهديه وتعاونه عن طريق الاعلام والنشر ، فهي تنقل الروائع العالمية من علم وفلسفة ، وتنشر الذخائر العربية من أدب وفن ، وتبسط رعايتها واعانتها على مظاهر الحياة الفكرية في مصر ، وهي التأليف والترجمة والصحافة والاذاعة والتمثيل والسينما . ولو مضيت أفصل هذا الاجمال لانتهى هذا العدد كله دون أن انتهي ، وحسبي وحسبك أن تتتبع بعض ما يفعل الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي في سبيل الفكر فيغنينا العيان ويقنعنا الواقع ، فان ما يفعله لا ينكر لأنه ماثل ، ولا يحصر لأنه متجدد ، وهذا الرجل العادي الثائر الذي اختير منذ الأيام الأولى للثورة ليكون يدها في تنفيذ مخططها الثقافي لم يخلع ثياب الميدان ولم يضع سلاح المعركة . فمن لم يره يتخيله لطول ما يعمل وكثرة ما يتنقل وثقل ما يحمل ووفرة ما ينتج جنديا أشعث الشعر أغبر الثوب عتاده على ظهره وعدته في يديه ، فاذا رآه وجد الجمال في مرآه ، والذوق في هندامه ، والأدب في حديثه ، فيحسبه قد خرج توا من غرفة زينته . وهذه هي الرجولة العليا التي يتميز بها أكثر حواريي الرئيس .

على أن الأدب وهو أقوى مظاهر حياتنا الفكرية وأشدها حساسة كان أول ما اهتز للعاصفة التي أسقطت الأوراق الذابلة وحطمت الجذوع النخرة .

اهتز الأدب للصلة الطبيعية بين الرأى والعزم ، أو بين الفكر والعبارة . كان يفكر لها فأصبح يعبر عنها ، وكان يؤثر فيها فأصبح يتأثر بها . فكل ثورة من ثوراتنا السياسية تحدد مرحلة من مراحل الأدب تتميز من سوالفها بسمات يحدثها الانقلاب في التفكير والتعبير والغرض . ولكن الانقلاب الأدبي لا يمكن أن يأتي فجاءة كما يأتي الانقلاب السياسي فجاة . لابد له من زمن يقصر أو يطول تتفاعل فيه النزعات وتتطور الرغبات وتتبين المقاصد ، والا كان انقلابا مفتعلا لا يلبث نشاطه أن يخمد ، وأثره أن يزول . فالسادة الذين فجأهم النبأ في صباح الثورة بالتمرد على الأصول المقررة للغة ، وعلى القيم المقدسة للفن ، لم يكونوا جارين مع النهضة ولا معبرين عن معنى الثورة . ان الثورة نهوض الى أعلى وتطور الى أحسن . والتقدم الذي يلائمها في

حياة الفكر هو أن تتحرر الأفكار ، وتتجدد الألفاظ ، وترقى الأساليب ، وتسمو الأغراض ، وتتنوع المذاهب ، ويعتمد الأدب على الصدق فيكون مرآة لنفس الكاتب كما يكون الكاتب مرآة لنفس الشعب .

أما أن نتمرد على القواعد اللغوية فندعو الى التحرر من كل قيد لتكون الفوضى ، والتخلص من كل ضابط لتكون البلبلة ، فتلك هي البدائية اللغوية التي لا تدرك لبلادتها وغلظها سحر اللفظ ولا جمال العبارة .

وأما أن نتمرد على القيم الأدبية فندعو الى أن يغفل الأدب رغائب الروح ويقبل على مطالب الجسد ، فنشكو صغر الرغيف وتندب غلاء اللحم ونبكي قلة الخضر فتلك هي الحيوانية المادية التي خلقت لها الزراعة والصناعة والعلوم ، ولم تخلق لها الفلسفة ولا الآداب ولا الفنون .

على أن في الميثاق القومي الذي اتخذته الثورة علاجا لأدواء الماضي ، ومنهاجا لبناء الحاضر ، ضمانا قويا لقيام مجتمع عربي اشتراكي متحد يكون فيه الدين قائما والضمير حاكما والعمل عقيدة والاحسان طبيعة والواجب مرعيا والمسئولية مفروضة . وحينئذ نأمن من الشرود والانحراف ، ونتقي الزلل والاعتساف ، فلا يتجه بعضنا الى اليمين وبعضنا الى الشمال وأكثرنا الى الخلف ، فان التقدمية الهوجاء مطية شموس وأن الرجعية العمياء مطية حرون ، وكلتاهما لا تستقيم على طريق ولا تؤدي الى غاية .

أحمد حسن الزيات



ثورتنا والدروس التى أوحت بها إلى الفكر السياسى المعاصر

للدكتور: محمد عبدالله العربى

تميزت ثورتنا بميزات ، وتجمعت فيها خصائص انعكست آثارها على الفكر السياسى المعاصر ، وسنمضى فى ابراز هذه الميزات وهذه الخصائص فى أكثر من مقال ، ولكن لابد فى البداية من أن ننوه بالمصدر الاصيل الذى انبثقت منه هذه الميزات والخصائص جميعا ، ذلك هو ان ثورتنا اهتدت من البداية بتعاليم تراثنا الروحى . وكان فى طليعة هذه التعاليم : « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فعمدت الثورة منذ يومها الاول الى تغيير ما بأنفسنا ، تغييرا سياسيا ، وتغييرا اجتماعيا وتغييرا اقتصاديا ، وتغييرا ثقافيا . وسار كل تغيير منها الى جنب أخيه ، يشد أزره ويحث خطاه .

نجحت الثورة أول ما نجحت فى ان تخلق فى الشعب العربى « ارادة التغيير » و « عزيمة التغيير » وصمدت هذه الارادة وتلك العزيمة أمام كل التحديات ، بفضل الروح التى بثها قائد الثورة فى نفسية الشعب فى مجموعه ، وفى نفسية كل فرد فيه . ولا ننسى هنا نداء قائد الثورة فى أول يوم من أيامها الى كل مصرى : « ارفع رأسك يا أخى » .

١ ـ ولعل أول الخصائص التى يجب ابرازها فى ثورتنا هى انها جمعت من بدايتها ـ لا فى مراحل لاحقة كما فعلت ثورات أخرى ـ بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية ، بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية . فأكثر الثورات الكبرى التى سجلها التاريخ كانت لها جذور اجتماعية واقتصادية ، ولكنها اقتصرت فى انفجارها على تغيير الاوضاع السياسية واغفلت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، فكانت النتيجة الحتمية لهذا الانفصال ان ظلت الشعوب التى ثارت راكدة فى ذات الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى حركت فيهم من قبل عزيمة الثورة .

ولنعرض على سبيل المثال لثلاث من هذه الثورات الكبرى ، ولننظر كيف بدأت وكيف انتهت .

(أ) الثورة الفرنسية: مظالم اجتماعية واقتصادية صارخة : اقطاع فى أسوأ صوره ، طبقة ارستقراطية محدودة العدد والنطاق ، استولت قرونا متعاقبة على مقاليد السلطان فى الدولة واستحوذت على مصادر الثروة القومية ، تتمتع فيهما بامتيازات وراثية قررها القانون ، ثم لا تساهم فى اعباء الدولة فهى معفاة من الضرائب التى لاتقع الا على سواد الشعب الكادح حتى طبقة رجال الدين وثروات كنائسهم لاتؤدى ضريبة . جماهير الشعب وحدها ينوء كاهلها باعباء الضرائب الفادحة ، وكاد العامل أن يكون أسيرا فى يد صاحب العمل ، والزارع أن يكون رقيقا فى قبضة صاحب الأرض ، وفوقهم جميعا ملك ينادى بأعلى صوته : « أنا الدولة » .

هذه الكلمة كانت شعار لويس الرابع عشر . ولما اشتد غضب جماهير الشعب فى عهد لويس السادس عشر ، دعا فى سنة ١٧٨٩ مجلس البرلمان للانعقاد ، لعل انعقاده يطفىء بعض السخط المتأجج فى جماهير الشعب ، بعد ان عطل ملوك فرنسا هذا المجلس منذ سنة ١٦١٤ .

أتدرى كيف كان تشكيل هذا المجلس المفروض فيه تمثيل الشعب كله ؟ كان مشكلا من ثلاث فئات: فئة تمثل الطبقة الارستقراطية ، وفئة تمثل حلفاءها من رجال الكنيسة ، وفئة تمثل عامة الشعب . ولكل فئة ثلاثمائة نائب ، عدد متساو من النواب عن كل طبقة . ولكن نواب الطبقة الارستقراطية كانوا ينوبون عن ناخبين لايتجاوز عددهم اربعمائة الف ، ونواب طبقة رجال الدين يتولون عن ناخبين لايتجاوز عددهم مائة الف . اما الفئة الثالثة من أعضاء هذا المجلس فكانت تمثل جمهور الشعب وتعداده يومئذ ستة وعشرون مليونا .

ثلث المجلس ينوب عن ٢٦ مليونا وثلثاه ينوبان عن نصف مليون ، فهل يرتجى من مجلس مشكل على هذا النحو ان يسن من التشريعات ما يكشف عن الشعب ما كان يكابده من مظالم اجتماعية ؟

ومن هنا كان الانفجار الساحق ، ومن هنا اندلعت الثورة الفرنسية .

وتعاقبت دساتير الثورة ، وكلها اقتصرت على تقرير الحريات السياسية وغفلت عن ذكر الحريات الاقتصادية ، فوضعت بذلك اكبر عقبة فى سبيل تمكين الشعب من استعمال حرياته السياسية . واكتشف الشعب ان هذه الحريات السياسية التى اكتسبوها بنضالهم الثائر لاتجدي نفعا فى ظل عبودية اقتصادية .

(ب) الثورة البريطانية : ثورة (كرومويل) فى بريطانيا فى منتصف القرن السابع عشر . كانت ثورة سياسية استهدفت تغيير نظام الحكم وخلع ملك مستبد . ولكن كانت لها جذور اجتماعية ، فان الذى جمع أفواج الشعب حول « كرومويل » لتقاتل جنود الملك وتنزله عن عرشه انما كانت المظالم الاجتماعية التى صبها الملك وأعوانه على جمهور الشعب . ثم عادت الملكية من جديد ولكن فى ظل برلمان له الكلمة العليا . ولكن تشكيل البرلمان جاء غير ممثل لجماهير الشعب ، فقد اشترط فى الناخب ان يكون ذا نصاب مالى معين ، وبهذا القيد تم اقصاء شطر كبير من الشعب عن المساهمة فى انتخاب من يتولون أمرهم فى مجلس الحكم ، وبالتالى اصبح هؤلاء لايمثلون الا ناخبيهم وهم الطبقة ذات الثراء . وبعد نحو قرنين من الزمان ، وتحت ضغط جماهير الشعب ، رفع قيد النصاب المالى فى الناخب ، واصبح الشعب كله - رجاله ونساؤه - يملكون حق الانتخاب . ويومئذ حسب الشعب البريطانى انه قد وضع اقدامه على أول طريق الديمقراطية السليمة ، وانه واصل حتما الى مداه ، فاذا القابضون على مقاليد الثروة القومية يزحفون عليه من الباب الخلفى بأسلحة جديدة - الحزبية وقواها المالية - لتصد كثرة الشعب عن حرية ممارسة ديمقراطيته السياسية .

وذلك هو المآل الحتمى لكل ديمقراطية سياسية سواء سجلت فى دساتير مكتوبة او غير مكتوبة - مادامت غير مقترنة بالديمقراطية الاقتصادية . وقد وصف الاستاذ (لاسكى) سلوك هذه القوى المالية فى الديمقراطية البريطانية بالعبارة الآتية : « الطبقة المالكة للمال هى التى تصوغ مدنية المجتمع على الوجه الذى يحقق مصالحها الخاصة ، فهى التى تهيمن على اداة الحكم ، وهى التى تسن القوانين ، وهى التى تقيم النظم الاجتماعية على النحو الذى يتفق مع شهواتها » .

(ج) الثورة الامريكية : ثورة المستعمرات الامريكية ضد امها بريطانيا ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ثورة سياسية أدت الى انفصال هذه المستعمرات لتكون دولة الولايات المتحدة الامريكية. ولكن حافز الاستقلال السياسى أين كان منبته ؟ كان منبته - وظلت تغذيه أكثر من قرن كامل - مظالم اجتماعية واقتصادية كانت تصبها الدولة البريطانية على أبنائها النازحين الى القارة الجديدة .

ووضع رجال الثورة الامريكية دستورهم ، واقتصروا فيه على تسجيل الحريات السياسية التى يجب أن يتمتع بها كل مواطن ، وغفلوا عن دعمها بالحريات الاجتماعية والاقتصادية فماذا كانت النتيجة ؟ جاءت الحزبية ومن ورائها القوى المالية فأفسدت كل معنى للحريات السياسية .

جاءت الحزبية بحجة العمل على تنظيم استعمال الجماهير لحقهم الانتخابى ، وهدايتهم الى اصلح النواب والولاة ، ثم تولت القوى المالية مقاعد القيادة فى هذه الاحزاب ، بما لها من قدرة على تمويل نشاطها ودعايتها ومعاركها الانتخابية ، فنجحت فى توجيه الناخبين الى استعمال حقهم الانتخابى على النحو الذى يخدم المصالح الذاتية لتلك القوى المالية .

ثم زحفت القوى المالية بوسائل الاعلام التى سيطرت عليها ، فسخرتها فى كبت الحقائق التى تريد اخفاءها عن جماهير الشعب ، وتشويه مالا تستطيع كبته منها ، حتى لاتجد الجماهير سبيلا الى استجلاء الحقائق ليختاروا على ضوئها من يمثلهم تمثيلا يكفل مصالحهم المشروعة ويحقق لهم الخير والعدالة التى يرتجونها من تطبيق الديمقراطية السياسية ، فظلوا لايعرفون وجه الحق فى سياسة حكومائهم الا على الصورة التى زيفتها أحزابهم السياسية بتوجيه تلك القوى المالية .

ويكفى فى التدليل على مدى سيطرة هذه القوى المالية على اداة الحكم الامريكية ان نقتبس ما يقرره احد اقطابهم **(ويليام هيرست)** : «نحن مازلنا نحتفظ

بشكل حكومتنا الجمهورى ، ولكن من الذى يسيطر على اللجان التى تختار المرشحين ؟ الشركات • من الذى يسيطر على المؤتمرات الانتخابية ؟ الشركات • من الذى يسيطر على أجهزة الانتخاب ؟ من الذى يسيطر على الذين يفوزون فى الانتخابات ؟ الشركات أحقا يصير نوابنا ممثلين للشعب ، أم هم فعلا ممثلون للشركات ؟ ليجب اى امرىء اجابة صادقة على هذا السؤال : أحكومتنا مازالت حكومة للشعب وبواسطة الشعب، ام هى حكومة لطبقة خاصة تقبض على زمامها وتدير دفتها ؟ » •

ويقول (**تونسندمارتن**) أحد اقطاب هذه القوى المالية ، يباهى بسيطرتها الشاملة : « نحن لانبالى من من الاحزاب تولى الحكم ، ولا من من الرؤسا تبوا مقعد الرياسة • نحن لسنا رجال سياسة او رجال فكر ، انما نحن رجال المال نمتلك امريكا ، ولايدرى الا الله كيف امتلكناها ، ولكنا نحرص كل الحرص على الاحتفاظ بما امتلكناه • وسبيلنا الى ذلك هو القاء تاييدنا الضخم ، ونفوذنا المسيطر ، واتصالاتنا السياسية ، ومن اشتريناهم من أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء مجلس النواب ، ومن نستأجره من كتاب وخطباء شعبيين ــ القاء كل هذا فى كفة الميزان ضد كل حركة تشريعية ، أو وثبة اصلاحية ، أو حملة انتخابية رياسية ، تهدد سلامة ما نمتلك » •

وهذا هو المآل الحتمى لكل ديمقراطية سياسية تنعزل باحكامها عن أحكام الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية •

وهذا هو الدرس الاول الذى سجلته ثورتنا فى التفكير السياسى المعاصر :

« لقد تميزت ثورتنا ، منذ يومها الأول ، بانها كانت ثورة سياسية وثورة اجتماعية فى وقت واحد- انها كانت بحق ثورة رائدة فى فلسفتها الشاملة ، وفى ادراكها لوحدة الحياة بجوانبها الانسانية المتكاملة » •

« وكان لابد لنا أن نسير فى طريق الثورتين معا ، ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية ، فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثورة الاجتماعية ، فقررنا تحديد الملكية • ومازلت حتى اليوم اعتقد أنه ينبغى أن تظل ثورة ٢٣ يوليه محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة • لكى نستطيع أن نحقق معجزة السير فى ثورتين فى وقت واحد » •

٢ ــ ولكن لماذا جاءت أكثر الدساتير الديمقراطية المعاصرة ــ اذا استثنينا بعض الدساتير التى صدرت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ــ مغفلة لمطالب الديمقراطية الاقتصادية ومهدت بذلك لتشويه مدلول الديمقراطية الشامل والانحراف عن هدفها الاصيل ؟ وهل حدث ذلك عن عمد او عن غير عمد ؟ فى اعتقادى الذى يؤيده الواقع أنه حدث عن عمد •

واهم العوامل الى أدت الى هذا الاحجام المتواتر عاملان :

«العامل الاول» كان فى كيفية وضع هذه الدساتير • فقد عهدت هذه الدول فى وضع دساتيرها الى جمعيات تأسيسية تنتخبها الاحزاب القائمة • وكانت هذه الاحزب تتالف فى كثرتها الغالبة من ذوى النفوذ والمال ، وكانت قيادتها الموجهة تتركز فى اقطاب هذه الطبقة التى حرصت على ــ استبقاء امتيازاتها الفعلية ــ ان لم تكن قانونية ــ فى ظل الدساتير الجديدة • فخرجت الدساتير من يدى هذه الجمعيات التأسيسية وهى خادمة لصالح هذه الطبقة ، ومغفلة لصالح سائر طبقات الشعب : دساتير تمنح الحريات السياسية لكل مواطن ، ثم تحول بينه وبين القدرة على استعمال هذه الحريات ، باقرارها الأوضاع الاقتصادية السائدة ، والتى من شأنها أن تدمغ كثرة الشعب بعبودية اقتصادية للقلة من اقطاب المال •

ولست أرى تصويرا ابلغ لهذه الخديعة من قول الميثاق : « ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش • ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة واصبحت خديعة مضللة للشعب » •

وهكذا اقامت هذه الدساتير ديمقراطية سياسية عارية من مطالب الديمقراطية الاقتصادية، فكانت النتيجة محق كل خير فيها ، واحباط آثارها المرجوة فى توجيه سياسة الحكم الى مصلحة الشعب فى مجموعه •

« **العامل الثانى** » كان حتمية نظام الانتخاب •

فالشعوب الحديثة تزخر بالملايين ، ولا يمكن اجتماع هذه الملايين فى صعيد واحد لتبت فى شئونها ، فوجبت النيابة ، ووجب النظام النيابى : مواطن واحد ينوب عن عشرات الألوف من المواطنين . وهنا اندفعت هذه المجتمعات الى اسوأ الوسائل فى اقامة نظامها النيابى بما عمدت اليه من تفتيت الأمة الى شيع تنتمى كل شيعة الى حزب لكل حزب اهدافه ومصالحه الخاصة ، ثم تتصارع هذه الأحزاب على كراسى النيابة ، يريد كل حزب ان تكون له الكثرة فيها حتى تكون الغلبة لاهدافه على أهداف الأحزاب الاخرى ، ولمصالحه على مصالح الاحزاب الاخرى . ولا يتورع اى حزب ـ لكسب الظفر فى هذا الصراع ـ من التنكر لما يجب ان تكون عليه أهداف الأمة فى مجموعها . وقد لا يحجم فى فترة التطاحن الحزبى عن التضحية بمصالح الأمة فى مجموعها ، وسنأتى بامثلة واقعية لمدى ما وصل اليه هذا الانحدار الحزبى فى بعض الدول . اما الأمة فيختلط عليها الأمر ، ويلتبس الحق بالباطل ، لكثرة ما أضلتها الدعايات المتباينة من الأحزاب المتصارعة . ولما كانت القوى المالية هى المسيطرة على هذه الأحزاب فانها تمكنت بفضل هذا السلطان المالى من السيطرة على جميع وسائل الاعلام ، فصار الشعب لا يعرف من الحقائق الا ما تجيزه هذه القوى .

وفى هذا المعنى يقول الميثاق : « ان من الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل أن النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للأوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الأوضاع الاقتصادية . فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق ان الحرية السياسية فى هذا البلد لا يمكن أن تكون الا حرية الاقطاع . انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ويفرضه لخدمة مصالحه ، وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لراس المال المستغل » .

« د . محمد عبد الله العربى »

يتبع

ثورتنا ثورة أصيلة..

للدكتور: سليمان الطماوى
رئيس قسم القانون العام بكلية حقوق جامعة عين شمس

ان التفرقة بين الثورة بالمعنى السياسي والثورة بالمعنى الاجتماعي قد غدا من قبيل المسلمات ، والثورة بالمعنى السياسى تستهدف تغيير الفئة الحاكمة دون أن تكون غايتها احداث تغيير جذرى فى الاوضاع الاجتماعية . أما الثوره بالمعنى الاجتماعي فهى التى تستهدف تحقيق تغيير جذرى بقصد تحقيق حياة أفضل للمواطنين . والعادة أن تسبق الثورة السياسية الثورة الاجتماعية ، ولكن ظروفنا الخاصة قد حدت بنا - كما يقول السيد الرئيس فى كتاب فلسفة الثورة - أن نعيش الثورتين معا ، ومن هنا كانت صعوبة تحقيق اهدافنا فى كافة الميادين . ومن هنا ايضا اكتسبت ثورة ٢٣ يوليو طابعها الرائد الذى جعلها قدوة للكثيرين .

ومن المعروف ايضا أن الثورة بالمعنى الاجتماعى لا بد لكى تنجح من أن تكون لها نظرية عمل ثورى تستهدى بها فى طريق البناء ، وتكون دليلا للعمل بالنسبة للقاعدة وبالنسبة للقمة . ولما كان العالم فى فترة التحول الكبرى التى يجتازها بعد أن طحنته الحرب العالمية الثانية بأهوالها وشرورها - يموج بمختلف أنواع الثورات لاسيما الثورات الاجتماعية، فان ابراز خصائص ثورتنا المصرية العربية هو أمر جوهرى لكفالة وضوح الرؤيا حتى لا ينحرف العمل الثورى على الصعيد العربى الى اليمين أو الى اليسار بقصد أو بلا قصد . ولقد سجل تقرير الميثاق المعنى الذى تشير اليه حيث يقول : « لقد ألقى الميثاق الاضواء الكاشفة على طبيعة نظامنا فأوضح بصورة قاطعة الفروق القائمة بينه وبين النظم الاخرى ، وكشف طريقه الممتد نحو المستقبل ، بحيث يكون من الخطأ محاولة كشف هذا الطريق فى ضوء تعاليم أى نظام آخر. وسوف نحاول فى هذا المقال أن نوجز خصائص نظريتنا الثورية فى ضوء الميثاق وتقريره،

اول خصائص نظريتنا الثورية أنها نظرية ثورية غير منقولة ، ومعنى هذا أنها مستمدة من حاجة البيئة العربية فى ضوء تاريخنا البعيد وتجاربنا الماضية والحاضرة وفى ظل التجارب المشابهة فى البلاد التى مرت بتجارب وظروف تشبه ما نمر به من تجارب وظروف . وأصالة الميثاق واستقلال الفلسفة التى يقوم عليها بذاتيتها لا تعنى انفصاله عن التجارب الأخرى ولا تحتم التنكر لما تقوم عليه هذه التجارب من فلسفات أو التسليم بخطئها ، لأن ثورتنا العربية ترى ان من أول مقومات النجاح فى العمل الثورى توافر « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها ، لايصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » . ويجب أن يكون مفهوما من ناحية أخرى أن أصالة نظرية ثورية معينة لا يعنى مجرد تميزها عن غيرها من النظريات الثورية ، ولكن أصالتها تعنى عدم تقيدها بأفكار محددة سلفا ، وأنها قد صيغت أساسا لمواجهة الظروف المحلية . أما الاصالة بمعنى التجديد الكامل فلم تتحقق حتى بالنسبة لأكثر النظريات أصالة فى العالم ، لأن الحقيقة التى لا يمكن انكارها ان الفكر البشرى يكمل بعضه بعضا ، وأن كل مفكر - مهما كانت مساهمته فى التجديد - انما يتأثر بما سبقه من أفكار . وعلى هذا الاساس كانت أصالة النظرية الثورية العربية لا تعنى عدم التقاء أفكارها الثورية مع بعض النظريات الاخرى السابقة أو المعاصرة . ويجب أن يكون واضحا أن هذا الالتقاء أو التشابه أو الخلاف ليس مقصودا لذاته وانما جاء لمناسبته أو لعدم ملاءمته لظروفنا المحلية . ومن ثم فان من الخطأ الجسيم - وهو ما نوه به الميثاق وتقريره فى أكثر

من موضع ـ أن تتخذ مواضع الشبه بين نظريتنا الثورية وبين النظريات الاخرى كدليل للادعاء بأن نظريتنا مستمدة من تلك النظريات ، وبالتالي يجب أن تفسر في ضوء أحكامها ومفاهيمها ٠

وثاني خصائص نظرية العمل الثورى العربية أنها مرنة ، فاذا كانت الحاجة الى نظرية ثورية كدليل للعمل الثورى أمرا لا شك فيه فانه من الواجب الا تصبح النظرية قيدا على العمل الثورى والا خرجت عن معناها ووظيفتها ، وبهذا المعنى يقول الميثاق في أول أبوابه : « ان الميثاق ليس قيدا على الدفع الثورى أو الارادة الشعبية يحد من حركتهما وانما هو الاطار الذى يرسم الابعاد الرحبة للعمل من أجل المستقبل ، ويضمن للشعب القدرة على الحركة السريعة نحو أهدافه الثورية ، ويترك بذلك المجال فسيحا لتنمية الثورة واستمرار دفعها » ٠ والحقيقة أنه في اللحظة التى يتبين فيها أن نظرية ماقد صارت قيدا على العمل الثورى فانه يتبين فساد هذه النظرية ويتعين فحصها من جديد ٠ اما أن تحاول تسيير الامور قسرا لتطابق نظرية ثبت فسادها فان ذلك يعد من أخطر ما يهدد العمل الثورى في أساسه ٠ وفي هذا المعنى يقول الميثاق : « ان التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعي ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء بها عن التجربة الوطنية ٠ ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعوب غيرها ٠٠٠ كذلك فان الحرية الاجتماعية أى الاشتراكية ليست التزاما بنظريات جامدة لم تخرج من صميم الممارسة والتجربة الوطنية ٠٠٠ » ٠

وعلى هذا الاساس كان الميثاق باعتباره نظرية للعمل الثورى ملزما بما جاء فيه ، ولكن مراجعته في ضوء مايسفر عنه التطبيق العملي هو أمر حيوى ، وبهذا المعنى يجب أن يفهم قول السيد الرئيس ان الميثاق سيكون محلا للمراجعة في سنة ١٩٧٠ ٠ فالمقدمة أن الميثاق جاء وليد التجربة والحكم عليه مستقبلا يكون أيضا خاضعا للتجربة ٠

الخاصية الثالثة أنها ثورة شاملة ، وبهذا المعنى يقول تقرير الميثاق : « لقد تميزت ثورتنا منذ يومها الاول بانها كانت ثورة سياسية وثورة اجتماعية في

ثورتنا ثورة أصيلة ..

وقت واحد٠ انها كانت بحق ثورة رائدة في فلسفتها الشاملة وفي ادراكها لوحدة الحياة بجوانبها الانسانية المتكاملة » ٠ ويتجلى الطابع الشامل لثورة ٢٣ يوليو في شعارها الكبير الذى صاغه الميثاق كما يلي : « ان عهودا طويلة من العذاب والامل بلورت في نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة ، صادقة في تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة ، وهى الحرية والاشتراكية والوحدة» ٠ وبالنظر الى هذا الطابع الشامل اضطر الميثاق

وتقريره ـ الذى يعتبر جزءا مكملا له ـ الى بلورة الفلسفة الثورية في كافة المجالات ، لاسيما :

اولا : الاشتراكيه العربية ، وقد حرص تقرير الميثاق على ابراز معالمها على النحو التالى ٠

لقد انتهى التطبيق الاشتراكى في بلادنا الى اقامة اشتراكية عربية متميزة : (١) فهى تؤمن بالله وبرسالاته وبالقيم الدينية والخلقية ، ومن ثم فلا محل لفكر مادى الحادى في نطاق اشتراكيتنا العربية (٢) وهى تؤمن بالجماعة وتقدم مصالحها على كل اعتبار آخر ، ولكنها في الوقت نفسه تحترم كرامة الانسان وحرية الفرد (٣) وهى اذ تسعى لتحقيق الكفاية لا تضحى بالجيل الحاضر في سبيل رفاهية الاجيال القادمة ، وانما تقيم التوازن بين تضحيات الاجيال المتلاحقة (٤) وهى تؤمن بالملكية الفردية غير المستغلة وبحق الارث الشرعى وبالمبادرة الفردية الخلاقة التى لا تنحرف عن المصلحة العامة ، وهى في هذا تختلف عن الاشتراكية التى تلغى الملكية الفردية لوسائل الانتاج الغاء تاما (٥) وهى تؤمن بوحدة الشعب وسيادته فلا تسمح بدكتاتورية اية طبقة أو سيطرتها ، وانما تعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات (٦) وهى تؤمن بحل المتناقضات الطبقية حلا سلميا فتنكر العنف وسيلة لحل هذه المتناقضات (٧) وهى في أسلوب عملها اشتراكية علمية تعتمد في تحقيق الكفاية والعدل على الاسس

العلمية ، وعلى كل ما وصل اليه العلم الحديث من نتائج · وانتهى تقرير الميثاق من ذلك ، مرددا ماورد بالميثاق قائلا : « ان الشيوعية ليست اذن هي البديل الوحيد للطريق الرأسمالي· لقد حتمت علينا ظروفنا وقيمنا ومبادئنا سلوك طريق يختلف عن الطريقين الآخرين معا ··· ان على القيادات الشعبية والفكرية وعلى أجهزة الدولة ان تقوم بحماية اشتراكيتنا من الانحرافات التى يعمل لها الانتهازيون والعملاء ··»

ثانيا : الديمقراطية ، ولقد حرص الميثاق على أن ينعتها بوصف «السليمة» تمييزا لها عن الديمقراطية الزائفة أو ديمقراطية الواجهات التى كانت سائدة فى ظل تحالف الاستعمار والاقطاع قبل الثورة ، وأبرز معالم الديمقراطية السليمة التى أوردها الباب الخامس من الميثاق انها تربط بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية، لان الديمقراطية الاجتماعية هى المدخل الحقيقى للديمقراطية السياسية · وأنها تستبعد سيطرة أية طبقة من الشعب على باقى الطبقات ، وتعمل على أن تكون الديمقراطية للشعب العامل كله ··· وأنها تقيم تحالف قوى الشعب العامل المكون من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ليحل محل تحالف الرجعية ورأس المال المستغل ، على أن يتم هذا التحالف فى صورة تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى ··· وأنها تعمل على التمكين للتنظيمات الشعبية خصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية من القيام بدور مؤثر وفعال فى ارساء أسس الديمقراطية السليمة ·· وأنها تعمل على تيسير النقد والنقد الذاتى باعتبارهما من اهم ضمانات الحرية ، وذلك عن طريق توفير أوثق الضمانات لحرية الاجتماع وحرية المناقشة وملكية الشعب للصحافة ·· وأخيرا فانها تعمل على فرض المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية السليمة فى الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن ، وفى مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح الادارية ·

ثالثا : القومية العربية ، بالرغم من أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد اندلعت أساسا فى مصر فانها قد أدركت منذ اليوم الاول الطابع العربى لمصر ، وأن الثورة العربية الشاملة لن تتحقق الا اذا قامت على أساس من القومية العربية ، بل ان الميثاق حرص على ان يوضح أن من الاسباب الجوهرية لفشل ثورة ١٩١٩ : « ان القيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية وبين القومية العربية · لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت أيضا فى أن تتعلم أيضا من عدوها الذى تحاربه ، والذى كان يعامل الامة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لخطط واحد » ·

رابعا : الثورة والسياسة الخارجية · لقد وضع الميثاق ثلاثة خطوط عميقة للسياسة الخارجية باعتبارها انعكاسا أمينا وصادقا للعمل الوطنى، وهى (١) الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع أقنعته ومحاربته فى كل أوكاره (٢) العمل من أجل السلام ، لأن جو السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى (٣) التعاون الدولى من أجل الرخاء ، لأن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره ·

ثم ان سياستنا الخارجية تقوم على أساس الايمان بوحدة عربية ، وبجامعة افريقية ، وبتضامن أسيوى أفريقى ، وبرباط روحى وثيق يشد الوطن العربى الى العالم الاسلامى ، كما يؤمن بانتماء الامة العربية الى الأمم المتحدة ، وبولائها لميثاقها « الايمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم ، وانما هى حلقات سلسلة واحدة » ·

اما الخاصية الرابعة للثورة العربية فتتمثل فى طابعها المعتدل والانسانى ، فبالرغم من أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى ثورة شاملة كما ذكرنا تستهدف خلق المجتمع من جديد فانها كانت منذ أول ساعاتها ثورة انسانية معتدلة فى كافة المجالات التى امتد اليها اشعاعها · ولم يكن اعتدالها بحثا عن الحلول الوسطى ، وانما هو صورة من مزاج هذا الشعب الذى كان انسانيا فى جميع عصوره · ويمكن ادراك الطابع الانسانى المعتدل للثورة من الملامح التالية :

(١) أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت ثورة بيضاء،

فلم تصاحبها موجات من حمامات الدم التي صاحبت غيرها من الثورات التي سجلها التاريخ قديما وحديثا (٢) ايمـــان الثورة بالصراع السلمي بين الطبقات ورفضها مبدأ سيطرة طبقة بعينها على باقي طبقات الشعب (٣) ايمان الثورة بضرورة اقامة موازنة بين حاجات المجتمع المادية وحاجاته الروحية والمعنوية أو كما يقول الميثاق : «اذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد» (٤) رفض الثورة لفكرة التضحية بجيل في سبيل التقدم ، ولهذا حتم الميثاق اقامة توازن بين حاجات التصنيع الثقيل وحاجات الاستهلاك ، ذلك أن حرمان جماهير شعبنا طال مداها: «وتجنيدها تجنيدا كاملا لبناء الصناعات الثقيلة واغفال مطالبها الاستهلاكية يتنافى مع حقها الثابت في تعويض حرمانها الطويل» . (٥) النظرة العـــالمية للثورة : فبـــالرغم من المشكلات الجمة والصعـــاب العديدة التي تواجههـــا الثـــورة داخل الجمهورية وفي نطاق الوطن العربي فانهـــا امتدت بأبصارها الى سائر أرجاء العالم ، لتعاون في صيانة السلام وتحقيق السعادة والرفاهية لشعوب العالم المغلوبة على أمرها ، ايمانا منها بأن البشرية واحدة وأن السلام لا يتجزأ وأن الرخاء لا يتجزأ .

واخيرا فان الخاصية الخاصة للثـــورة العربية

تتمثـــل في اشعـــاعها خارج الجمهورية ، ذلك أن أصالة الثورات تتجلى في مدى ما تحدثه من أثر ورد فعل في المحيط الخـــارجي . فمن الثورات ما يولد ويموت دون أن يحس به أحد ، ومعظم الثـــورات السياسية من هذا القبيل ، فلا يكاد يمر شهر دون أن يحدث انقلاب في دول أمريكا الجنوبية ، وتحل حكومة محل حكومة وينظر العالم الى ذلك بلااكتراث .
أما الثورات بالمعنى الاجتماعي ، فان أثرها لا يقف عند حد الجماعة التي تندلع فيها ، بل سرعان مايمتد الى ســـائر أرجاء المعمورة ، لأن أعـــداء الثورة من الاستعماريين والرجعيين يعملون على اخمادهابمختلف الوسائل ، بينما تتطلع الشعوب المغلوبة على امرها الى الثورة الاجتماعية الناجحة تحتذي بها وتستجدي منها العون ، ولقد تحققت النتيجتان بصورة واضحة في حالة ثورة ٢٣ يوليو ، فلقد امتد اشعاعها البناء في جميع أرجاء الوطن العربي ، وكانت الضوء الذي أنار السبيل أمام كثير من شـــعوب الامة العربية لتعرف سبيل التحرر السليم في سورية وفي العراق وفي الجزائر وفي اليمن وفي جنوب الجزيرة ... الخ

وقد وصلت معظم هذه الثورات الى بر النجـــاة بتاييد ورعاية الثورة الأم في الجمهـــورية العربية المتحدة ، وكانت كل ثورة منها لبنة في بنـــاء الثورة العربية الكبرى التي ســـوف تظل للعـــالم العربي بجناحيها من الخليج الى المحيط ، بل ان أثر الثورة العربية قد امتد الى خارج نطاق الوطن العربي لاسيما في دول افريقية وأمريكا الجنوبية .

أما موقف الاستعمار والرجعية من ثورة ٢٣يوليو فانه أوضح من أن يحتاج الى شرح فلقد حاولت الدول الاستعمارية متحالفة مع الصهيونية العالمية والرجعية العربية كبت الثورة واخمادها ، وقد بلغ ذلك ذروته في العدوان الثلاثي المشهور ، فلما فشلت فيتحقيق اطماعها لجأت الى وسائل العمل غير المباشر بمحاولة عزل الجمهورية العربيـــة المتحـــدة ، قلب الثورة العربية النابض .

« د . سليمان الطماوي »

الشرارة الأولى

للشاعر: محمود حسن إسماعيل

مع الشرارة الأولى لفجر التغيير

فى ليلة ٢٣ يولية عام ١٩٥٢

فجر « على مصر » بين النور والأمل … شق الدجى ، وسقاها صحوة الأجل
من سكرة الموت أحياها .. فخلت على … يمينه ، آية من صيحة الرسل
فى عمر طيف الكرى ، هبت ممزقة … ليل الردى ، بشهاب مارد الأمل
كانت معصبة الأيام .. تحسبها … ضريرة لاطمتها حيرة السبل
تناهشتها رياح الظلم ، واصطخبت … على خطاها دواهى الرق ، والعلل
وزورتهما يد الطاغين ، راضية … فى هداة الذل ، أو فى غشية الملل
والله يعلم ما يفرى سرائرها … من ثورة أججتها ضيعة المثل
ومن لهيب ، أحال البطش جذوته … فى غضبة الناس ، ذعرا دائم الوجل
صبارة .. لم تدع شكوى ولا عرفت … تحت العواصف الا وقفة الجبل
ساقوا الجراح لها ، من كل باغتة … كانت حقائقها أدهى من الخبل
كم حرروا الارض زورا فى منابرهم … والقيد يرزم فى تابوته الزجل
وقبلة الخطو للاغلال ، ناجرة … من المقاصير ، عن تاريخها وسل
قامت بقوت الحيارى ، او بادمعهم … أجرت جداولها فى المرتع الخخضل
وغاضب لضياع الحق ، أورده … اصراره مورد الاجرام والزلل
ساقوه للسجن مغلولا بغضبته … كأنما الحق اثم يانع الخطل
وتاجر بسلاح المجد ، لعنته … ان زال كل اسى فى الارض لم تزل
ساق المدافع للميدان ، هامدة … بكماء ، تجنح للتهويم والكسل
دوى النفير ، فشقت صدر ضاربها … لتستجير بباس الضارب البطل
فضائح تخجل التاريخ سيرتها … شبوا لظاها جنازات من الخجل !
الله أكبر !! لم تمهل يداه فضى … للظالمين بما كالوا على عجل
حان القصاص ، فلفتهم ضمائرهم … فى حالك من ظلام البغى منسدل
ناموا على غفلة الأوهام ، وانتبهوا … على نذير بصوت الله متصل
من مهجة الشعب أو من سر غضبته … هبت لهم بغتة أمضى من الأجل
فى ثورة لم تر الشطآن فجاتها … ولا وعاها الثرى من حالك الأزل
بيضاء دوى نفير الفجر من يدها … ودفق النور سراها الى الدغل
فى مثل وهم اتصدى ، كانت مدوية … بالنصر والحق والايمان والأمل
خر الطغاة ، ودك البغى واندثرت … فى ذره ، قصة الأسياد والهمل !
ومزق الشعب ذلا ، كان يرهقه … به الجبابر من حكامه الأول ..
الله أكبر ! شقت مصر وقفتها … وارعشت بخطاها شاهق القلل
فى كل يوم تهز الشمس وثبتها … بنشوة الصحو ، والتغيير ، والعمل

جمال عبد الناصر والعروبة

للدكتور : أحمد الحوفي



تبين في المقال السابق أن العروبة عقيدة أصيلة راسخة في أعماق جمال عبد الناصر ، وأنها محور سياسته ، والباعث على مؤازرته للجزائر وللعراق وللسودان .

وهذا المقال تكملة لبعض جهوده في تحرير العرب .

٥ ــ مناصرة اليمن :

هبت ثورة اليمن على الحكم الجائر المتخلف المعوق لليقظة ، القاضى على مظاهر الحياة الكريمة اللائقة بالانسان ، وكان تربص واعتداء من الاستعمار وأعوانه بهذه الثورة ، فأسرع جمال الى مساندتها ، وسارع الى حمايتها ، تطبيقا لعقيدته في مناصرة الأحرار على الظلم وعلى الاستعمار ، وتطبيقا لجهوده في مؤازرة العرب على التحرير والنهوض ، وتحقيق حياة مجيدة تليق بهم وبماضيهم العظيم .

ولقد كانت مناصرته لثورة اليمن بالسلاح والرجال والمال جهادا رائعا موفقا أملته الحاجة ، واقتضاه واجب الأخ الكبير القوى نحو اخوته الذين ثاروا ، ليسترجعوا الحرية والكرامة بعد عهد مظلم طويل ، بل ليستردوا الحياة بعد أن أماتتهم الرجعية أحقابا طوالا .

ولم يكن يدور بخلد أعداء الثورة اليمنية أن عبد الناصر سيسبقهم الى العمل الجاد الحاسم ، ويحبط كيدهم ، ولعلهم ظنوا أنه سيكتفى بنداء يعلنه ، أو تأييد ، يذيعه ، ثم لا يتجاوز هذا الحد ، متذرعا بأنه لا يرضى أن يسفك سلاح عربى دما عربيا .

ولكنهم فاتهم أن القتال هنا جاد لامندوحة عنه، لأنه مناصرة للحق على الباطل ، ومؤازرة للخير على الشر ، وحماية للجيل الحاضر والأجيال القادمة من بغى الحاكم ، وعدوان الظالم ، وويلات التخلف فى جميع مرافق الحياة ، ثم انه نجدة للمستغيث ، وانقاذ للملهوف ، ونصرة للمظلوم ، وتمهيد لتحرير البلاد العربية التى لا تزال ترزح تحت أثقال الرجعية والاستعمار .

لهذا كانت الحرب فى اليمن دفاعا لاعدوانا ، وحماية للحرية والأحرار لا طغيانا ، وواجبا لا مفر منه ، وضرورة لا مندوحة عنها ، فكانت بهذا كله عملا عظيما فى ميدان القومية العربية .

ولقد أفصح الرئيس عن هذا فى الخطاب الذى ألقاه فى جموع القوات المسلحة العائدة من اليمن اذ قال :

« أيها الرجال :

ان تضحياتكم تفرض علينا جميعا تبعات لا ينبغى أن يلحقها وهم أو تفريط ، مهما تكن الظروف .

وانى لأذكر أمامكم مسئوليتين تتقدمان غيرهما :

الأولى : هي أننا نريد السلام ، لكننا نريد السلام على الارض العربية ·· سلاما عربيا ، لا يسكت على العدوان ، ولا يقبل انتاك حرمة أرض عربية ، وتسليمها لقواعد العدوان الدخيلة على أرض العرب·

ان السلام الذى لا يمكن أن يكون على الأرض العربية سلام غيره ، هو السلام الذى يعود به الحق الى أصحابه فى فلسطين ·

ولن تقبل مهما كانت الظروف سلام الامر الواقع، لأن هذا السلام ليس سلاما حقيقيا ، بل هو عدوان يتستر ضلالا باردية السلام ، ولن تقبل أمتنا اى ضلال ·

ان السلام الذى تريده الامة العربية على ارضها لا يمكن الا أن يكون سلاما عربيا فى نواياه ، وفى أهدافه ، وفى ارادته ولن تستطيع قوة من القوى أن تفرض علينا ما تسميه سلاما ·

والمسئولية الثانية : هى أن النصر الذى تحقق بتضحيات الرجال وبدمهم الطاهر الذى تدفق بذلا وعطاء هو وديعة غالية ينبغى الحرص عليها والدفاع عنها ·

ان حربكم أيها الرجال فى اليمن لم تكن مغامرة، وانما كانت نضالا ثوريا ، أمسك بالماضى ، وراح يغيره بالنار والدم ، ليكون التحول الخلاق مما كان الى ما ينبغى أن يكون ·

وانه لواجب على الامة العربية كلها أن تحمى الوديعة الغالية التى قدمتها اليها تضحيات الرجال وجودهم حتى بالحياة ، وحين تجد انحرافا مع الهوى ، أو انسياقا مع المطامع الانانية ، أو تلاعبا بالاهداف الكبرى ، فانها لاتعتبر ذلك تورطا سياسيا أو حزبيا ، وانما تعتبره اساءة الى شرف التضحيات التى بذلها البواسل من الرجال ·

وانى لواثق أن الامة العربية اذا غفرت أى شىء ، فلن تغفر أى اساءة الى شرف التضحيات العظيمة فى ميدان القتال ·

لقد كانت معركة قاسية ، لكنها كانت عظيمة ، تلك التى حاربتم فيها حتى النصر فى اليمن ·

ولم تكن قسوتها بسبب الظروف الطبيعية التى تسود اليمن نتيجة لما فرضه حكم التخلف على شعبها المناضل العظيم ، وانما كان منذ الدقيقة الاولى قرارا خطيرا وحاسما يتعلق بمبدأ كنا نضعه فوق كل اعتبار ، وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا ·

لكن الخيار فى اليمن لم يكن بأيدينا ، اذ بدأت الرجعية تسفك الدماء بعد ثورة شعبية ناجحة قام بها شعب اليمن متخذا من جيشه طليعة لتقدمه ·

وبعد خمسة عشر يوما من نجاح الثورة ، وبعد الفرحة الشاملة ، وبعد الهدوء الكامل ، بدأ اطلاق النار على الحدود الشمالية الشرقية ، وبدأت جيوش الرجعية المرتزقة تحاول الانقضاض على الثورة انقضاضا دمويا لا يستهدف ابادة أمل الثورة فحسب ، بل يستهدف ابادة أى فرصة للحياة على أرض اليمن ·

وكانت الرجعية المطمئنة الى الحماية الخارجية والاستعمارية تتصور أنها تواجه ثورة اليمن وفى حسابها المبدأ الذى وضعناه فوق كل اعتبار ، وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا ، وأن القاهرة لا تستطيع أن تقف مع ثورة اليمن باكثر من اصدار البيانات والنداءات ·

ولقد كان القرار الخطير الحاسم الذى واجهناه قاسيا ، لكنه كان ضرورة ، والا فاننا نسلم للرجعية بسفك الدماء على هوى مطامعها ، ونجرد المبادىء من كل سلاح بالحق يحميها ·

ولقد اتخذنا هذا القرار جميعا ، مطمئنين الى رضا الله الذى لايقبل ان يكون للظلم سلاح ، وأن يواجهه الحق بغير سلاح ·

ولقد بذلتم جميعا هناك أخلص الجهود وأكرمها ، لكى لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة ، وكان سلاحكم قادرا لو تركتم له العنان أن يسيل دما بغير حساب ، لكن العقاب لم يكن غايتكم ·

لقد كنتم هناك أصدقاء للحياة ، ولم تكونوا أعداءها · وانى لأعلم أن كثيرين من شهدائنا الأبرار راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك الدماء ، وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام ·

لقد وضعتم الدعوة جنبا الى جنب مع طلقات الرصاص ، وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة الهدى تسبق طائراتكم » ·

٦ ـ مساعدة الاقاليم العربية :

ولن ينسى العرب ان جمال عبد الناصر هو الذى آزر ليبيا وتونس والمغرب وغيرها من اقاليم الوطن

العــــربى على مناضـــــلة الاســــــتعمار وعلى الظفر بالاستقلال ، وهو الذى يناصر ثوار الجنوب وثوار الخليج ، ، لأن هذه كلها أجزاء من الوطن العربى ، لا يمكن اغفالهــا ، ولا يمــكن التفريط فى حقوقهــا ،فمعركة الجزائر معركتنا ، ومعركة الأردنمعركتنا ، لأننا ان قلنــــا غير هذا نتنكر لعــروبتنا ولقوميتنا ولمصائرنا ٠

مصيرى هنا مرتبط بمصير أخى فى الاردن وأخى فى لبنان وفى سورية والسودان ٠ ومازالت القومية العربية تتقدم وتنتصر ، وتسير الى الأمام ، وهى تعرف طريقها ، وتعلم من هم أعداؤها ، ومن هم اصــــدقاؤها ، وتعــلم أن وجودها العــــزيز فى اتحادها » ٠

٧ ـ الجهاد لاسترداد فلسطين :

اما حماسة الرئيس المشتعلة ، وجهاده الموصول لارجاع فلسطين العربية الى اهلها ، فقد عرفه العالم كله ، وجلجل به صوت الرئيس مدويا فى المؤتمرات السياسية ، حتى صارت قضية فلسطين المغتصبة جزءا لاينفصل من قضايا الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ينفصـــــل عن القضــايا العربيـــة التى تتبناها ، وتنافح عنها فى كل ميدان ٠

وقد كان جمـــــال عبد الناصر يستطيع الرضــا بانصاف الحلول التى عرضتها عليه أمريكا وانجلترا وفرنسا وغيرها ، فيكسب صداقتها ، أو على الأقل يكسب التخفف من عداوتهـــا ، ولكنه أبى فى كل ما عرض عليه الا الحل الطبيعى السليم ، وهو تحرير فلسطين ، وعودتها الى أهليها ، وعودتهم اليها أشرافا كرماء ٠

وحينما يأذن الله بعودة فلسطين الى اربابها ـ ولا شك فى أن هذا قـــريب ـ ستكون افراح العــودة المظفرة مقرونة باسم البطل العربى جمال عبد الناصر الذى حارب على أرض فلســــطين ضابطا ، وحارب الاستعمار من أجل فلسطين ، رئيسا للجمهــورية حربا لم يتسرب اليهـــا فتور أو ملاينة أو رهبة مما ينشأ عنها من عواقب ونتائج ٠

٨ ـ توحيد الصف :

ولقد كان بارعــا أيما براعة فى دعـــوته الملوك والرؤساء العــــرب الى الاجتماع فى مؤتمــر القمة العربى الأول فى ١٣ من يناير سنة ١٩٦٤ بالقاهرة ، اذ أثمر هذا المؤتمر عدة ثمرات ، منها تصفية الجو العربى من غبـــار الخلاف الذى أثارته الدســــائس والمطامع ، واقامة مشروعات مائية على نهر الاردن للاستفادة من مائه فى زراعـــة الارض العربيـــة ، وابطال محاولة اسرائيل تحويل مائه الى فلســــطين المغتصـــبة ، وانشاء قيـــادة عســكرية مشــتركة واقامة كيــان فلسطينى ، وبذل الجهود السـياسية المتنوعة لشرح قضـية فلسطين للعــــالم كله ، وبناء علاقات الأمة العربية مع الدول الأخرى على أساس موقف هذه الدول من الحقوق العادلة المشروعة لشعب فلسطين ٠

ثم كان الاجتماع الثانى فى ٦ من سبتمبر ســـنة ١٩٦٤ بالاسكندرية ، وقد قرر بدء العمل فورا فى المشروعات العربيـــة لاســتغلال ميــاه نهر الأردن ، ومكافحة الاستعمار البريطانى فى المناطق العربيــة التى مازالت بريطانيا تستعمرها وتقديم المســاعدات لحركة التحرير فى الجنوب المحتل ٠

وانه ليسترعى النظر أن الرئيس جمال عبد الناصر ردد فى خطبته بالمؤتمر الثانى ماقاله فى المؤتمر الأول وهو « أن الجمهورية العربية المتحدة تشترك فى هذا المؤتمر الثانى للملوك ورؤساء العرب بنفس الروح التى حفزتها الى توجيه الدعوة للمؤتمر الأول : روح الايثار والحرص على المصير القومى المشترك »

واصـــارحكم بوضـــوح انه ليس لدى الجمهــورية العربية المتحــدة أية موضــوعات تتعلق بســياستها الخاصـــة الوطنية أو القوميـــة أو الدولية ترغب فى اقحامها على وقتكم » ٠

ومعنى هذا بوضوح صريح أن الدعوة الى المؤتمر مبعثها فلســــطين والعروبة ، وغايتهـــا فلســطين والعروبة ٠

هذه لمحات الى بعض ماقامت به مصر فى المجـــال العربى من واجب فرضته عليها عروبتها التى تعتز بها وتحرص عليهـــا وتناضـــل فى سبيلها بقواها كلها ، ولا أرب لها الا عزة العرب ووحدة العرب ٠٠ كيان فلسطينى ، وانشاء قيادة عسكرية مشتركة ٠

(٠٠ د ٠ احمد الحوفى ٠٠)

الثورة الاشتراكية والتنظيم السياسى

للدكتور : أحمد كمال أبو المجد

اذا كانت الثورة فى جوهرها العام تغييرا جذريا مفاجئا فى الانظمة السياسية والاقتصادية للمجتمع، فان قيام الثورة الاشتراكية ونجاحها يعنى – بصفة أمضى – وصول طلائع القوى صاحبة المصلحة فى التغير الاجتماعى الى السلطة ومواقع الحكم لتمارس من هناك مهمتها الثورية فى تغيير أسس العلاقات الاجتماعية ·

غير أن وصول هذه القوى الى السلطة لا يشكل ، فى الحقيقة سوى نقطة البدء فى عملية التغيير الثورى بمضمونها الحقيقى ·ومن هنا تغدو المحافظة على الثورة وضمان استمرارها المشكلة السياسية الاولى التى تواجه الطلائع الثورية المنتصرة بعد وصولها الى السلطة · ومن هنا أيضا تظهر الحاجة الى تنظيم سياسى يتولى هذه المحافظة وذلك الضمان ، عن طريق تجميعه للقوى الثورية وتنظيمه لحركتها ، ووقوفه فى وجه بقايا القوى الاجتماعية المضادة للثورة ،وصاحبة المصالح المتعارضة مع مصالحها ·

غير ان الحاجة الى التنظيم السياسى فى ظل المجتمع الاشتراكى لا تنبع من هذه الحاجة الطبيعية الى حماية الثورة وحدها ، وانما تنبع من طبيعة الثورة الاشتراكية ، وطبيعة الاشتراكية نفسها · فالثورة الاشتراكية ثورة من أجل الجماهير ، والاشتراكية – بطبيعتها – نظام شعبى يقوم على سيطرة قوى الشعب العاملة على أدوات الانتاج ، ومن ثم فان الضمان الوحيد لاستمرار عملية التغيير الاجتماعى فى اتجاهها الاشتراكى الصحيح هو أن يتولى الشعب بنفسه قيادةعملية التغيير وان يتولى تنفيذها وهى أمور لا يمكن أن تتم بطريقة علمية ونظامية الا عن طريق تنظيم سياسى شعبى ·

وفوق ذلك كله فان مشكلة التنظيم السياسى تفرض نفسها فى كل مجتمع ديمقراطى ، باعتبارها مشكلة الشكل التنظيمى الذى يتحقق به توكيد السلطة للشعب ووضعها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه ·

والتنظيم السياسى فى مجتمع اشتراكى ينبغى أن تتوافر له ضمانات ثلاثة رئيسية ·

اولا : شعبيته بان يكون ممثلا لجماهير الناس ·

ثانيا : اشتراكيته ، بان يكون معبرا عن مصالح القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى ·

ثالثا : فاعليته ، وقدرته على الحركة ، بما يضمن له أداء دوره فى حماية عملية التحول الاشتراكى والسير بها فى طريقها ·

١ – وفى مقام توكيد الشعبية فى التنظيم السياسى تثور المقارنات التقليديةبين نظام الأحزاب السياسية المتعددة ، ونظام الحزب الواحد ، والانظمة البديلة لهما كنظام الاتحاد الاشتراكى العربى ·

والثورات الاشتراكية لاتستطيع – بحكم منطقها نفسه – ان تأخذ بنظام الاحزاب المتعددة ، بحيث يدعو بعضها الى الاشتراكية ويدعو بعضها الآخر الى أنظمة اخرى ، وذلك أن استمرار الثورة يعنى فى ذاته استمرار تصفية القوى المناهضة للاشتراكية ، واستمرار تجميع القوى الاشتراكية فىوحدة تنظيمية محكمة تتولى عملية التغيير الاجتماعى ·

أما نظام الحزب الواحد فقد يبدو أكثر الانظمة بريقا أمام الثورات الاشتراكية ، وذلك بما يتيحه من تجميع القوى الاشتراكية وتمكينها من قيادة عملية التحول ، وبما يؤدى اليه من امكانيات دفع عملية البناء الاجتماعى فى حزم وسرعة لاينال منهما ما تستهلكه عمليات الصراع الحزبى والمناورات

الثورة الاشتراكية والتنظيم السياسى

السياسية من جهد ووقت ولهذا لم يكن غريبا ان تميل اليه معظم الدول الاشتراكية ، خصوصا فى آسيا وافريقيا ، حيث تسعى الثورة الاشتراكية ـ فى المقام الاول ـ الى تحقيق التنمية الاقتصادية ، واللحاق بركب الدول المتقدمة ، بعد سنوات أو قرون من التخلف والفقر .

غير أن مزيدا من التأمل فى نظام الحزب الواحد يكشف عن حقيقة خطيرة تتصل بطبيعته ، فهذا النظام يقوم فى جوهره على احتكار طبقة او فئة قليلة من المواطنين للعمل السياسى ، واحتكارهم ـ تبعا لذلك ـ سلطة توجيه أجهزة الحكم ورقابتها والتأثير عليها ، اى احتكارهم ـ للسلطة ، وما يتبع احتكار السلطة ـ من احتكار عملية التغيير الاجتماعى .

وبعبارة أخرى قد يكون نظام الحزب الواحد ـ بمعالمه الاساسية المشار اليها ـ اسلوبا ناجحا من اساليب العمل الثورى ، وقد يكون سبيلا مؤديا الى تحقيق التنمية ، ولكنه يبقى دائما بعيدا عن أن يكون اسلوبا من اساليب العمل الديمقراطى ، لانه سبيل الى حكم الطبقة أو الاقلية وليست سبيلا الى حكم الشعب وتوكيد سيادته .

وبين هذه الانظمة المختلفة كان على الثورة الاشتراكية فى مصر أن تختار اسلوبها فى التنظيم السياسى .

واستقرت تجارب الثورة فى هذا الميدان عند نظام الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يعتبر ـ بحق ـ نموذجا جديدا من نماذج التنظيمات السياسية .

١ ـ ويختلف الاتحاد الاشتراكى عن الاحزاب السياسية فى ظل نظام التعدد من ناحيتين اساسيتين :

(أ) فهو من ناحية تنظيم سياسى وحيد ، يعمل بعيدا عن المنافسة والصراع الحزبى .

(ب) وهو من ناحية اخرى ليس تنظيما بعيدا عن السلطة ، يسعى للوصول اليها عن طريق الانتخابات كما هو الشأن فى النظام الحزبى . وانما يشكل جزءا ثابتا من اجزاء البناء السياسى والدستورى وله دور محدد منتظم فى سير الحياة السياسية عن طريق ما يملكه من سلطة توجيه اجهزة الحكم ورقابتها ، وما يقوم به من دور اساسى فى رسم السياسة العامة للبلاد .

٢ ـ ويختلف الاتحاد الاشتراكى عن نظام الحزب الواحد كذلك من ناحيتين :

(أ) أنه اذا كان الحزب الواحد يضم طبقة واحدة من طبقات المجتمع او قيادات هذه الطبقة وطلائعها . فان الاتحاد الاشتراكى يجمع داخل تنظيماته الكتل الشعبية المكونة لجميع قوى الشعب العاملة .. ومعنى هذا أن عنصر الشعبية قائم ومحقق فى نظام الاتحاد الاشتراكى دون نظام الحزب الواحد .

(ب) أنه اذا كانت طبيعة الحزب الواحد ، باعتباره منظمة قلة من المواطنين ، قد فرضت على هذه القلة ـ كما تدل التجارب العديدة فى اتباع اساليب معينة فى العمل داخل الحزب ، تقوم على الصراع المستور بين القوى ، ولا تسمح ـ فى كثير من الاحيان ـ بحرية نقد حقيقة منتجة ، فان طبيعة الاتحاد الاشتراكى ، باعتباره منظمة قوى الشعب العاملة كلها ، تعفيه من ضرورة الالتجاء الى هذه الاساليب ، وتزيد فرص الممارسة الحقيقية لحرية الكلمة ، وحرية النقد ، والتقدم عن طريق الحوار والمناقشة ، والقيادة الجماعية للعمل الوطنى .

٢ ـ أما الطابع الاشتراكى للتنظيم السياسى فى منطقة الثورة الاشتراكية فيتحقق بحرمان القوى المضادة للثورة الاشتراكية من المشاركة فى هذا التنظيم .. وفى هذا المقام ينعكس ـ فى وضوح كامل ـ ما بين الفلسفات الاشتراكية من اختلاف فى النظر وفى مبادىء العمل . فحيث يسود منطق سيطرة الطبقة الواحدة ، تحتكر هذه الطبقة عضوية التنظيم السياسى ، فيفقد شعبيته ، ويتحول الى حزب واحد بالمدلول الذى بيناه .. أما حين يسود منطق التذويب السلمى للفوارق بين الطبقات ، ويستقر الايمان بامكان قيام وحدة وطنية من قوى الشعب العاملة .. فان هذه القوى جميعها تشارك فى التنظيم السياسى ، وتتعاون فى دفع عملية التحول الاجتماعى .

وهذا المنطق الاخير هو الذى قام عليه الاتحاد

الاشتراكي العربي فتحقق لهمعنى الديمقراطية ومعنى الاشتراكية على السواء ·

٣ ـ واما الفاعلية والقدرة على الحركة السريعة ، فليست ـ كما يتصور البعض ـ مشكلة دقة فى التنظيم والتخطيط ·· وانما هى ترتبط ـ فى معظم الاحوال ـ بطبيعة التنظيم نفسه وبالمبادىء التى يقوم عليها ·· فلا شك ـ مثلا ـ أن الحزب الممثل لطبقة واحدة ، يكون أكثر قدرة على الحركة ، وذلك بسبب الضآلة بالنسبة لحجمه من ناحية ، ووحدة الاتجاه بين أعضائه من ناحية أخرى · أما حيث يضم التنظيم السياسى قاعدة عريضة من المواطنين الممثلين لقوى الشعب العاملة المختلفة ، فان الامر يبدو أكثر صعوبة وتعقيدا ، اذ قد يكون من العسير على منظمة سياسية تضم ملايين عديدة من المواطنين أن تتمتع بقدرة كاملة على الحركة الشريفة الواضحة الاتجاه ·

وهذه الصعوبة هى التى انتبه اليها ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العربية المتحدة حينما تحدث عن الحاجة الماسة الى ايجاد جهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى يكفل لهذا الاتحاد ـ الى جوار خصائصه الديمقراطية التى أشرنا اليها ـ قدرة سريعة على الحركة ، وفاعلية تتناسب مع المهمة الضخمة التى تلقيها على عاتقه مرحلة بناء مجتمع جديد على أساس من الكفاية والعدل ·

والواقع أن انشاء هذا الجهاز السياسى يثير مسألتين :

الاولى : ضمانات قدرته على أداء مهمته ، وهذه تقتضى ـ فى تقديرنا ـ أن يتم تكوينه بالاختيار من بين العناصر الثورية ذات الكفاية والقدرة الحركية من ناحية ، وذات الالتزام الفكرى والسلوكى بالخط السياسى المحدد فى الميثاق من ناحية أخرى حتى لا يصل الى هذا الموقع من مواقع القيادة الا من كان ممثلا فى صدق لروح الثورة الاشتراكية العربية ولكل ما فى خصائصها من أصالة ·

والاخرى : أثر انشاء هذا الجهاز على عنصر الشعبية فى التنظيم السياسى · والجدير بالملاحظةهنا أن الجهاز السياسى الذى نتحدث عنه هنا ، أو الذى أشار اليه ميثاق العمل الوطنى ، وتحدث عنه الرئيس فى أكثر من مناسبة انما هو جهاز يعمل داخل الاتحاد الاشتراكى ، وبقصد احكام عمله وتنظيم حركته ومضاعفة نشاطه · ومعنى هذا أن الارادة التى توجه الاجهزة الحكومية وتراقبها وترسم السياسة العامة للدولة ستبقى دائما ارادة قوى الشعب العاملة المجتمعة فى الاتحاد الاشتراكى ·

ولا يفوتنا ونحن على أبواب تكوين هذا الجهاز أن نذكر بالاهمية البالغة لتصنيف القوى الاجتماعية القائمة وتحليلها ، والتثبت الكامل من الولاء الفكرى والتنظيمى لكافة العناصر التى تفتح امامها أبواب هذا التنظيم ، حتى تأتى هذه القيادة الطليعية صورة أمينة وصادقة لقوى الشعب العاملة صاحبة الحق الوحيد فى قيادة عملية التغيير الثورى ··

كما لا يفوتنا أن نذكر بالاهمية البالغة لتوكيد الاسلوب الديمقراطى فى العمل داخل هذا الجهاز السياسى ، حتى يكون مركزا من مراكز الممارسة الديمقراطية الحرة على مستوى ينبغى أن يعكس كافة القيم والمبادىء التى يقوم عليها التنظيم السياسى فى مجتمع اشتراكى ديمقراطى ·

« د· أحمد كمال أبو المجد »



افريقية على الطريق الاشتراكي



للدكتور: عبد العزيز كامل

قارة واحدة :

أود ان أصاحب القارىء في رحلة افريقية نرى فيها معا بعض ملامح الفكر الاشتراكي ونحاول أن نكشف أعماقه وان نتبين معالمه الحاضرة ، فهذا الربط بين الماضي والحاضر قمين بأن يوضح خطوطا فكرية استمرت حية في القارة رغم ماحاول الاستعمار وبذل من جهود لقطعها ، وايجاد حاضر للقارة منفصل عن ماضيها . وهذا الفصل لم يكن مقتصرا على مابين الماضي والحاضر ، بل انه حاول - ولا زال - يحاول - ان يفصل بين افريقية المطلة على البحر المتوسط وهي ما يسميها احيانا . بافريقية العربية او افريقية الاسلامية ، وبين افريقية جنوب الصحراء ويسميها احيانا افريقية السوداء او افريقية الزنجية ، وهذه الاسماء غير دقيقة الدلالة : فالعرب لم يقتصروا على النطاق المطل على البحر المتوسط وانما انتشروا من قديم عبر الصحراء ولازالوا هناك حتى الآن . والاسلام كذلك عبر الصحراء من القرون الاولى للبعثة النبوية واقام دولا وحضارات في النطاق الرعوى الممتد جنوب الصحراء ، كما دخل افريقية عن طريق المحيط الهندى والبحر الاحمر . ولم تكن الصحراء حاجزا لاباب له بين الشمال وبقية القارة ، وان حاول الفكر الاستعمارى أن يؤكد هذا القول بادلة اصطنعها لنفسه وأراد أن يفرضها على التاريخ .

هذه مقدمة ينبغي ذكرها حين تعرض للتيارات الفكرية في افريقية لاننا لو سلمنا بالانقطاع الفكرى بين شمال القارة وجنوب الصحراء لما كان هناك مجال للقول بالتفاعل الفكرى بين قطاعاتها .

والاتجاه الافريقي الحديث كما عبر عنه الدكتور ديبوا يؤكد عمق التفاعل بين افريقية المطلة على البحر المتوسط - او افريقية المتوسطة - وبين ما اطلق عليه اسم دكتور ديبوا « افريقية الجنوب » أى ما يقع - بعامة - جنوب الصحراء . وهذا الاصطلاح يختلف عن « جنوب افريقية » وهي الجمهورية المعروفة في أقصى جنوبي القارة ، وميزة هذا الاصطلاح الجديد انه لا يعترف بالصحراء فاصلا ، وانما يتجاهلها كعامل طبيعى ادى الى عزل الشمال عن الجنوب كما يدعى كثير من الكتاب الاوربيين .

فاذا ما كان الحديث عن الطريق الاشتراكي فيمكن في اطمئنان ان نذكر مظاهر التفاعل بين شمال القارة وجنوبها - بعامة - وأن نذكر عمق التفاعل بين الثورة المصرية وبقية الثورات في القارة وما اتخذته من طريق اشتراكى تطور به حياتها .

مصادر فكرية :

وفي دراسة الفكر الاشتراكي في افريقية يجوز بنا الا نقيد أنفسنا ـ تاريخيا ـ بظهور الفكر الاشتراكي في أوربا ـ وانعكاسه على افريقية ـ بعامته ـ وانما ينبغي أن يكون لنا ـ الى جانب دراسة التفاعل بين الفكر الافريقي والفكر العالمي ـ معرفتنا بمقوماتنا الفكرية ومظاهر الاشتراكية فيها وان حملت أسماء اخر .

وليس المهم في الدراسة أن نقف عن حدود اسماء الاحزاب الاشتراكية في افريقية . والزعماء الاشتراكيين والمؤلفات الاشتراكية والمؤتمرات المشتركة ، وان كان لهذا كله منزلته في الدراسة ، وانما واجبنا الاول أن ندرس مدى اصالة الفكر الاشتراكي في القارة .. فيحياتها القبلية وتقاليدها العريقة .

فاذا ما رجعنا الى ما قبل الاستعمار بمؤثراته العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فستجد أمامنا ثلاثة مصادر فكرية لها عراقتها في القارة وهي وفق ترتيبها التاريخي :

١ ـ الديانات والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية القديمة في القارة .

٢ ـ المسيحية في افريقية كما تمثلها كنيسة الاسكندرية ولها امتدادها في اثيوبيا وشرق افريقية وكان لها امتدادها في شمالي افريقية ، وكان تأثيرها محدودا جدا على ما سوى ذلك من أجزاء القارة ، ثم تركز بعد هذا في المركز الرئيسي ـ في مصر ـ واثيوبيا .

٣ ـ الاسلام : وكاندخوله الاول من شرق افريقية ثم موجته الرئيسية من مدخلها الشمالي الشرقي من شبه جزيرة سيناء . ومنها وصل الى مصر ثم انتشر على محورين رئيسيين : على طول النيل وعلى طول ساحل البحر المتوسط الى المغرب . ثم دفع مع طرق القوافل الرئيسية حتى وصل غربي افريقية وهناك تلاقى مع الموجة المتقدمة من مصر جنوبا على المحور النيل . ومن النطاق الرعوي تقدمت طلائعة تخترق الغابة الاستوائية وتلتقي مع المؤثرات الاسلامية المقبلة من المحيط الهندي .

ومن اهم ما امتاز الاسلام في غرب افريقية أن السكان الذين آمنوا به كانوا من اهل البلاد ، ولم يبق دينا غريبا او وافدا يرتبط بعنصر او لون ، وانما استقر هناك ، واصبح من المقومات الرئيسية للحياة في غرب افريقية . قامت باسمه دول واعتنقته قبائل وشعوب ، وعدل من نظام حيازة الارض والمواريث والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية واوجد ، بيئة حضارية ، جديدة لها مميزاتها وخصائصها ونظمها في التعامل . ونفس الوضع حدث في شرق افريقية مع اختلافات اقتضتها ظروف البيئة والتطور هناك .

١ ـ الديانات والاوضاع القديمة في القارة :

هذه المؤثرات الحضارية التي عرضناها ، هل لها من جذور اشتراكية ؟ وهل لهذه الجذور من مظاهر في حياة الافراد والجماعات، وبالتالي في الحياة الجديدة التي دبت في افريقية بعد تحررها وتطورها الاشتراكي ؟

هنا نود أن نقف قليلا عند نقطة حاول بعض الكتاب الغربيين ابرازها ، لا لرفع شأن القارة وانما باعتبار هذه النقطة من مظاهر التأخر فيها . وذلك حين اعتبروا نظم الملك المشترك أو المشاع عند الافريقيين مرحلة متأخرة بالنسبة الى نظم الحيازة الفردية ، ثم عادوا بعد هذا الى تمجيد التأميم وملك الجماعة وحقها !! .. والتناقض العقلي هنا واضح في الموقف الفكري عند بعض الكتاب الاوربيين مما يزيد من ضرورة اعتمادنا على انفسنا في تفهم ماضينا والقيام بابحاث جادة عميقة تبرز الجوانب الاصيلة في الفكر الافريقي ، وتتبع العروق الثمينة في أغوار الماضي لتفيد فيها في صناعة الحاضر والمستقبل ، وليزداد الافريقيون ثقة بما عندهم .. وعندهم كثير مما يظنون أن الغرب جار عليهم به .. وهي بضاعتهم ردت اليهم .

ولنبدأ بعرض بعض مظاهر الحياة الاشتراكية في تلك المرحلة الاولى السابقة لدخول المسيحية والاسلام ثم نتتبع الخط الاشتراكي ـ في سرعة ـ حتى الوقت الحاضر الذي تفاعل الافكار الاشتراكية في افريقية المعاصرة وتحدد الدور الذي قامت به ثورة ٢٣ يوليو في هذا المجال .

ولا زالت الزراعة هي الطابع الغالب في افريقية مع التطور الصناعي الذي حدث في بعض اجزائها ..

وهذا التطور له اتجاهان متعارضان : الاتجاه الاشتراكي الذى حدث فى مصر والجزائر وبعض الاقطار الافريقية المستقلة وهو يستهدف مصلحة الجماعة ، والاتجاه الرأسمالي الذى حدث فى جمهورية جنوب افريقية والكونغو ·· والذى يمثل امتدادا للاوضاع الاستعمارية سواء أكان هذا الاستعمار مفروضا من الخارج كما فى الكونغو ام تقوم به اقلية تمثل استعمارا داخليا كما فى جمهورية جنوب افريقية · فهذه الاقلية لاتستطيع القول بسبب وجودها ، أن جنوب افريقية دولة مستقلة فى الواقع رغم انها سياسيا تعتبر كذلك ·

سنعود الى الماضى عندما كانت الزراعة المحور الرئيسى ، وكانت مشكلة حيازة الارض من اخطر المشكلات التى تقابل القارة فى تطورها · وهذه المشكلة لقيت من الباحثين عناية كبيرة ولا تزال تلقى هذه العناية حتى الوقت الحاضر ·

ونظرة الافريقى الى أرضه نظرة فيها احترام يصل الى التقديس ، تستوى فى هذا ديانات وتقاليد غرب افريقية ووسطها وشرقها وجنوبها ، وما حفظته الآثار الفرعونية من تقاليد فى هذه النطاقات لاتزال مرعية حتى الوقت الحاضر ، وكان القسم بالارض له منزلة كبيرة ، فهى الارض الام التى تعطى الطعام للصغير ، ويزرعها ويرعاها الكبير ، ويثوى فيها بعد وفاته ، وتحلق فوقها روحه ·· فالصلة قوية بين الفرد والارض ، وبين الحى والميت ، وبين الفرد والفرد ·· الصلة قوية بين جميع أفراد المجتمع وما فيه من معالم الطبيعة : الارض والسماء والحيوان ، كان هناك نظام شامل للكون عند الافريقى ، تختلف تفاصيله من قبيلة الى اخرى ، ولكن له أصول ثلاثة : الايمان بخالق لهذا الكون ، الايمان بالعمل الصالح فى هذه الحياة ، الايمان بجزاء بعد هذا العمل · ومن هذه الاصول الثلاثة نبعت فكرة الترابط القوى بين الافراد بعضهم ببعض ، وبينهم وبين الارض ، ومن هنا نجد أصلا عريقيا للحياة المشتركة او الفكر الاشتراكى ، فقداسة الارض ، كانت عند قدماء المصريين ، وكان للارض اله هو « جب » صوره المصريون القدماء مستلقيا على بطنه وقد نبتت المزروعات فوق ظهره · وقريب من هذا التقديس ما صنعه الافريقيون مع ارضهم ·

وقد بينت الدراسات الحضارية ان افريقية لم تكن متحفا للمتناقضات الفكرية ، وانما كانت فيها اصول عامة يمكن أن نراها فى اجزاء القارة ، رغم تباين البيئات · وقد عنى بها نفر كبير من العلماء من ابرزهم هرسكفتس وراترای ولوكاس وفروبينيوس وتاليوت ·· ومع أن الملك المشاع كان واسع الانتشار فى « افريقية الجنوب » الا أن القارة عرفت نظما من الحيازة الفردية · وقد عرض جوموكنياتا ــ فى تفصيل ــ لهذا الموضوع فى كتابه « مواجهة جبل كينيا » وان كانت دراساته منصبة على شعب الكيكويو فى كينيا ·

وكان نظام الزراعة المتنقلة سائدا فى افريقية الجنوب وبمقتضى هذا النظام تزرع الاسرة قطعة من الارض فترة ، ثم تدعها بعد هذا مدة تتراوح بين خمس عشرة وعشرين سنة تستعيد فيها الارض خصوبتها · وبذلك كانت الدورة بين التربة والنبات كاملة : الارض تزرع حتى تضعف ، ثم تترك حتى تقوى · وحين يترك الافريقى أرضه لتقوى ، فليس معنى هذا أنه تنازل عنها أو انها اصبحت أرضا لا مالك لها ، وانما معناه انها لاتزال داخلة فى المجال الحيوى للقبيلة وأن نقل الحيازة من فرد الى فرد يتم عن طريق سلطة مركزية هى زعيم القبيلة أو مجلس الحكماء ، وليس من حق هذا الزعيم التصرف فى الارض « خارج » نطاق القبيلة ·

ومن هذه الزاوية نستطيع أن نخرج بثلاث نتائج :

١ ــ أن القبيلة كانت تمثل وحدة اقتصادية ، أو اذا شئنا تعبيرا حديثا ، كانت تطبق « نظاما اشتراكيا » فى حيازة الارض · وبعبارة أخرى كانت الارض « ملك الجماعة » وان عرفت افريقية نظاما من الحيازة الفردية · وأن هذا الملك الجماعى أو المشترك، اذا كان يحمل معنى الاشتراك أو فيه روح الاشتراكية فانه يحمل فى نفس الوقت روح الحيازة المحددة المعالم على مستوى الجماعة ، كشخصية معنوية · فمن الممكن أن يقرر الزعيم أو مجلس الحكماء نظاما معينا لاستغلال الارض وتوزيعها على افراد القبيلة ، وأن يقضى فى المنازعات · أما التصرف فى الارض بحيث تخرج حيازتها من يد القبيلة فهذا ــ من البديهى ــ لا يمكن ان يدخل فى سلطة الزعيم أو مجلس الحكماء ·

٢ ــ ان ادعاء الاوربيين عندما استولوا على الارض

أنها لم تكن ملكا لاحد ، ادعاء باطل ٠ وكون الجماعة أو القبيلة تزرع جزءا من الارض وتترك جزءا آخر ليسترد خصوبته ، لا يمكن أن نستنتج منه انها تنازلت عن الجزء المتروك ٠

٣ - ان المعاهدات التي وقعها المستعمرون مع الزعماء وأعطتهم حق التصرف في مساحات واسعة من الاراضي الافريقية ، باطلة قانونا لانهؤلاء الزعماء لا يمتلكون هذه الارض ليتصرفوا فيها ، وانما هم « وكلاء » عن الشعب أو « ممثلون للشعب » ولم يثبت انهم استشاروا أصحاب الحق الاول فيها، وهم كل المجتمع ٠٠ بل اننا اذا شئنا الدقة لقلنا ان هذه الارض عندهم ملك الاجيال المتعاقبة جميعا ٠

وفي هذا الموقف يمكن ان يرجع الى ما سجله لورد هايلي في صراحة في كتابه الضخم « مسح افريقي » (ط اكسفورد ١٩٥٧ ص ٦٨٦)

« ان الحكومات قد بسطت نفوذها على الارض وامتلكتها بوسائل متعددة ٠ ففي بعض الاحيان أخذتها بحق الفتح ، وفي بعض الاحيان تم هذا عن طريق معاهدات مع رؤساء القبائل اعتبرت كأنها تسليم الارض للمستعمرين ٠ وأحيانا كان يتم الاستيلاء عن طريق تفسير النصوص من وجهة النظر الاوربية بصرف النظر عن فهم الافريقيين اياها عند توقيع الاتفاق ٠ وفي الواقع كان العامل الجوهري الذي يقرر انتقال ملكية الارض الى المستعمرين هو مدى ملاءمتها للاستعمار ، لا الاسس والحجج القانونية هذه الملاءمة تفسرها ظروف المناخ والتربة٠ وهي التي وجهت تيار الهجرة الاقتصادية الى جنوب وشرق القارة اكثر من اتجاهه نحو الغرب » ٠

وكان مجيء الاستعمار هنا تقويضا للاشتراكية الاولى واقامة للامبريالية مما مما دعا الى كفاح جديد لبناء المجتمع الاشتراكي المستقل الجديد ٠

وفي التعقيب على هذا الوضع الجائر في افريقية يقول الرئيس عبد الناصر في فلسفة الثورة (١٩٥٤) « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال -حتى لو اردنا- أن نقف بمعزل من الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في اعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين ٠

لا نستطيع لسبب هام وبدهي ، هو اننا في افريقية ٠

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله ٠

ولن نستطيع بحال من الاحوال ان نتخلى عن مسئوليتنا في المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء ٠

ويبقى سبب هام ، هو أن النيل ، شريان الحياة لوطننا ، يستمد ماءه من قلب القارة ٠

ويبقى ايضا أن السودان -الشقيق الحبيب- تمتد حدوده الى أعماق افريقيا ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة في وسطها ٠

والمؤكد أن افريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير وان الرجل الابيض الذي يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحالمن الاحوال أنتقف امام الذي يجري في افريقيا ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا » ٠

ويتابع الرئيس عرض الآمال الى جانب التعقيبات فيقول : « ولسوف أظل أحلم باليوم الذي أجد فيه في القاهرة معهدا ضخما لافريقيا ، يسعى لكشف نواحي القارة أمام عيوننا ، ويخلق في عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل أنحاء الارض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها » ٠

كان هذا في عام ١٩٥٤ ومر بعد هذا أحد عشر عاما ساندت فيها جمهوريتنا كل الحركات التحررية في افريقية على المستوى المحلي والافريقي والعالمي واستطاعت هذه القوى المتعاونة ان تزحف بافريقيا الى مكانة الصدارة في المشكلات العالمية مما زاد من أعباء العمل وضاعف من تبعاته ٠

٢ - المسيحية في افريقيا :

«هنا ينبغي أن نفرق بين ماحمله الاستعمار الأوروبي معه من مذاهب مسيحية وبين كنيسة الاسكندرية كنظام افريقي أصيل نبت في القارة

وانتشر فيها على نفس المحورين التقليديين : المحور النيلي نحو الجنوب وساحل البحر المتوسط نحو الغرب والاتجاه الجنوبي يتكامل فيه النيل مع البحر الاحمر للوصول الى اثيوبيا حيث استقرت النصرانية هناك. ولقد كان أمام النصرانية عند قيامها صراع رهيب مع قوة الرومان ووثنيتهم، ودفعت النصرانية عن عقيدتها ضحايا وقرابين بشرية واضطهادا لازال حيا في ضمير الانسانية . وسجل القرآن الكريم جانبا من أعمال الرسل وجهادهم في سورة « يس » و « البروج » ، هذا الى ما حفظه تاريخ الكنيسة من صفحات في هذا السبيل . وكانت النصرانية معنية بتطهير النفس والجانب الاخلاقي من حياة الافراد ، دون دخول في تفاصيل نظم الحياة الاقتصادية ، ويبدو هذا من مراجعة الاناجيل وأعمال الرسل ، كما كانت عمليا في كفاح لا ينقطع من أجل توضيح جوانب العقيدة ، وبخاصة عندما استقلت كنيسة الاسكندرية بمذهبها الخاص الذي عارضت فيه الامبراطورية .. والذي يعنينا من هذا أن التأثير كان مقتصرا على الجوانب الروحية والاخلاقية وهي بطبيعتها أوضاع فردية دون أن يتحول الى نظام اجتماعي واقتصادي يبدو تأثيره العملي الشامل في حياة المجتمع ، واستمر هذا الوضع حتى جاء الاسلام بعد ستة قرون ونصف تقريبا من مولد سيدنا عيسى عليه السلام .

وليس معنى هذا ان المسيحية لم يكن لها من تأثير على تعديل نظم حيازة الارض . وانما تبدو جوانب من هذا التعديل فيما أصبح للكنيسة من أرض تقوم بأمرها ، وهبها أصحابها للعمل الصالح والبر بالمحتاجين .. وبهذا تحول جانب من الارض الى هدف جديد . جعل للكنيسة نشاطها في مجال العمل الاجتماعي ، بينما دفع الاضطهاد الذي حدث جانبا من رجال الكنيسة الى حياة الاديرة والرهبنة . وسنرى في المقال المقبل التطور في ظل الاسلام لنصل به الى المرحلة الحاضرة التي تحياها افريقيا والتي اشتد فيها التفاعل بين أجزائها مع توضيح لدور الثورة في هذا المجال .

« د . عبد العزيز كامل »

صيحة عربية

للشاعر : عبد المنعم عواد يوسف

الى الذين يميعون قضية فلسطين بتصريحاتهم الغريبة

باسم ركب عربي الزحف ، دفاق المشاعر
باسم اطلالة فجر يتحدى الليل ، ثائر
باسم « مليون » شهيد ، عانقوا روح الجزائر
اطلعوا الصبح نديا ، يتغنى بالبشائر
باسمهم أرفع صوتي ، عربي النبر ، فائر

باسمها ، باسم البساتين النديات اليانعه
التي كانت ، وحقل لم يعد يدري ربيعه
منذ أن قد أبعدت عنه يد الخصب الوديعه
يد فلاح يناغي أرضه البكر البديعه
باسمها يزأر صوت البعث في صمت الطبيعه

باسمها ، باسم الخيام السود في الارض العراء
باسم أشباح بها ، رهن الأسى والبرحاء
باسم شيخ ذابل النظرة ، يطويه العياء
باسم طفل صارخ ، شق سكون الصحراء
باسمهم أرفع صوتي ، مفعما بالكبرياء

باسمهم ، باسم الضحايا ، والمآسي العربيه
أرفع الصيحة ، تهتز اباء وحميه
صفعة في وجههم ، في وجه تجار القضيه
الأُلى خانوا كفاح الشعب ، ساقوه مطيه
نحو أطماع حقيرات ، وأغراض دنيه .

باسم شعب قاوم الموت أبيا وعنيدا
صيحتي تعلو زئيرا عربيا ، ووعيدا
اتركوها ، حلها ليس ادعاء ووعودا
حلها ما زال اصرارا ، عتادا وحشودا
ودما يجري لكيما يطلع الفجر الجديدا

نهج الأحرار من قديم

بقلم : محمد الغزالى

فى السهول المستوية ينداح السيل حتى يبلغ منتهاه ما يعترضه شىء ٠

وفى حقول الأرز والقمح تهب الريح فتميل السيقان الغضة كلها ما ينتصب منها عود ٠

وبين جماهير الدهماء ، ينتشر التقليد الخاطىء ، او العرف السيىء فما يرده ذكاء ، أو تمتد رهبة السلطان وسطوة الملك الطائش فما يقمعها تمرد ٠

ولكن هناك رجالا من معادن فريدة تشذ عن هذا العموم المهين

فهى الجبال التى تقف مد السيل ، والاشجار التى لا تنثنى مع هبوب العاصفة ٠

وهم الصاحون بين السكارى ، فاذا شاع خطأ تعرضوا هم له بالنقد ، واذا الف الناس مسلكا لم يعجبهم تصرفوا هم منفردين على طريقة المعرى حين قال :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

واذا ركع الناس بين يدى ملك ظالم ، أو استكانوا لأوضاع مزرية ، لمحت فى ابصارهم بريق الأنفة ، وفى سيرتهم شرف الحرية ، فما يستريحون حتى تنجو البلاد والعباد من آثار الفساد ، وقيود العبودية ٠

اولئك هم الثوار الذين يعتز بهم الايمان، وتستقيم بهم الحياة ٠

واذا كان الله جل شأنه قد صان العمران البشرى بالجبال ، وقال فى كتابه « وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون» فقد اقتضت حكمته العليا أن تصون المجتمع الانسانى بهذا النفر من حراس الحقائق الرفيعة وحماة المعالم الفاضلة ٠

فهم الدواء الخالد لكل مايفشو فى الدنيا من علل، وهم الأمل الباقى لبقاء الخير فى الأرض وان ترادفت النوب ، واكفهرت الآفاق ٠

ربما كان عشق الحق خليقة فيهم فطرهم الله عليها، كما قال فى كتابه « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ٠

ولعشق الحق اعباء مرهقة ، **اولها** الصبر على تثبيط الخاذلين ، وكيد المعوقين والمخالفين ، بيد أن طبيعة الثورة على الباطل لا تكترث لشىء من هذا ، وفى الحديث الصحيح ٠ « لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ــ أو حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » ٠

واكثر الناس يعرف الحق معرفة حسنة ، غير انه لا يأسى لهزيمته ، ولا يأسف لضياعه !

أو لعل احساسا من الضيق يخامره لخذلان الحق ، الا أن هذا الاحساس يصطدم بمصالح النفس وضرورات العيش ، ومطالب الأولاد ، ليتراجع المرء رويدا رويدا عن هذا الشعور النبيل ، ويؤثر الاستسلام على المقاومة، والاستكانة للواقع عن تغييره وانكاره ٠

وهذا السلوك لا يتفق مع طبيعة الايمان ، ويستحيل أن تتقبله نفس ثائرة لله مؤملة فيما عنده ٠

فالغاضب لله ورسوله يذهل فى سورة يقينه عما يحرص عليه الجبناء من حياة ومتاع ، ولا يرى أمامه الا نصرة الحق ورفع لوائه وليكن ما يكون ٠

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » على أن من العبث انتظار التفانى فى الحق من عبيد أهوائهم وصرعى نزواتهم ، ان الأمر يحتاج الى تربية وتبصرة حتى يكون مذاق الايمان أحلى فى فم الانسان من كل لذة عاجلة ٠

عندما يشعر امرؤ بالسعادة لأنه واسى محروما ، أو نصر ضعيفا ، أو آمن قلقا ، أو آوى هائما ، أو

احصن عرضا ، أو حقن دما ، فهو انسان كبير ، ومثله أهل لأن يقتدى عناصر الايمان بالنفس والنفيس ٠

والثائرون ضد الظلم والناقمون من أعوانه رجال من ذلك المعدن الصلب ، واندفاعهم لتقليم الأظافر الشرسة ضرب من الاصلاح العام للحياة والأحياء « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ٠

وفي الأعصار الأخيرة قامت ثورات شتى استهدفت انقاذ الجماهير من الملوك المسلطين، وأسرهم المحظوظة ، وثورة يوليو سنة ١٩٥٢ من بين هذه الثورات الخطيرة . ونحب أن نقول بجلاء انه حيث يسود الحكم المطلق تنتقص الانسانية من اطرافها ، بل من صميمها !

وذلك أن الله قد خلق البشر آحادا صحيحة وجعل لكل أحد منهم مدى معينا يمتد فيه طولا وعرضا ٠ فاذا عن لأحدهم أن يتطاول وينتفخ ويتزيد ، فعلى حساب الآخرين حتما ٠

ومن هنا تجد من حوله أنصاف بشر أو أرباع بشر ! أصبحوا كسورا لا رجالا سواء ، وما نقص من تمام انسانيتهم أضيف زورا الى الكبير المغرور ، فاصبح فرعونا مالكا بعدما كان فردا كغيره من عباد الله ٠٠٠

ولماكان الاسلام انقاذا للناس من جهالاتهم المتوارثة ، وحماية للفطرة من أن تأكلها تقاليد السوء وقوانين الاستبداد الأعمى ، فقد جعل كلمة التوحيد ـ وهى عنوانه وحقيقته ـ نفيا للوثنيات كلها ورفضا لأية عبودية في الأرض وتدعيما للحرية التى ذرأ الله الناس عليها والكمال الذى رشحهم له ٠٠٠

ذلك بعض ما تعنيه الكلمة العظيمة «لا اله الا الله» ٠٠٠ وهى الكلمة التى يرددها الالوف دون وعى ٠ بل لعلهم يعيشون فى ظلها عبيد أوهام ٠٠٠

وقد بعث محمد للناس وفى قلوبهم وجل من سطوة الملوك الأولين ، فلما جيء باعرابى يوما فى حضرته أخذته رعدة يحسب نفسه قريبا من أحد الجبابرة فقال له الرسول : هون عليك ، انى لست بملك ٠ أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ٠

كان قد وقر فى الأذهان أن الملوك ليسوا من عبيد الله المألوفين فان الأبراج التى يحيون فيها قطعت

نسبتهم من الأرض ووصلتها بالسماء ، فزعموا أنهم نسل آلهة أو عاشوا كذلك وان لم يقولوا بالسنتهم ما يقولون بافعالهم !

فأراد محمد أن يعرف العرب على أنه بشر مثلهم لا ملك فوقهم ، ثم انتسب الى أمه ، لا الى العظماء من أجداده ، ليزداد لله تواضعا ومن الناس قربا ٠

وجاء الحكام الراشدون بعده فمشوا فى أثره وربطوا سببهم بالجماهير التى تبوأتهم فما تنكروا لها ولا تكبروا عليها ولا حسب أحدهم نفسه من دم أنقى أو عنصر أزكى ٠

واسمع الى أبى بكر بعد ما ولى الخلافة يقول : « أما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى ٠ وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ٠ الا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه ٠ أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » ٠

وجاء فى خطبة لعمر بن الخطاب : « اعلموا أن شدتى التى كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدى ، والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم فاتقوا الله وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم » أيها الناس : « انه لم يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله » ٠

هذا هو وضع الحاكم المسلم فى الدولة المسلمة !٠ رجل من صميم الأمة يطلب أن يعان على الحق وأن يمنع من الباطل ، ويرى السلطة المخولة له سياجا للمصالح العامة لا مصيدة للمنافع الخاصة ولا بابا الى البطر والطغيان ذلك هو أدب الاسلام الذى خط مصارع الجبابرة فى الدنيا وحط منازلهم فى الآخرة « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ٠

حيث يكون العسف والخسف لابد ان يكون الاسلام دينا ثائرا يطلب النصفة والرحمة ٠

وحيث يكون الاستعلاء والاستعباد لا بد أن يكون المسلمون ثوارا ينشدون العزة والكرامة ٠

وقد تكون عقبى الجهاد موتا في غربة ، أو قتلا في معركة ، والثائرون ضد الباطل أدنى الناس الى البلاء والعطب .

وماذا في هـذا ، ان ما يحذره غيرهم هـو الذى ينشدون لأنفسهم !

وتلك طبيعة الثـائرين ، اما أن يحيـوا كما يريدون ، أو يموتوا كما يريدون .

انهم عزيمة تؤثر في الحياة سـلبا وايجابا ، وليسوا عربات تشد الى جياد الآخرين .

ويعجبنى قول الطرماح بن حكيم ، وهو يسعى الى الغنى حتى لا يحتاج الى فسقة الأمراء في عهده أو الى عداة الخلفاء ـ كما سماهم :

وانى لمقتـاد جـوادى وقاذف
به وبنفسى العام احدى المقاذف
لأكسب مالا ، أو أءول الى غنى
من الله يكفينى عداة الخلائف

ثم اسمع الى هذا الثائر الضارب في منـاكب الأرض طلبا للعزة يقول :

فيارب ان حانت وفاتى فـلا تكن
على شرجع يعـلى بخضر المطـارف

ـ أى على نعش ملفوف بالأقمشة المطرزة ـ

ولـكن قـبرى بطن نسر مقيله
بجو السـماء في نسـور عواكف
وأمسى شـهيدا ثاويا في عصـابة
يصابون في فج من الأرض خائف

والمسلمون اليوم لن ينجحوا في حرب الاستعمار الا اذا استهتروا بالموت وأحبوه في ذات الله .

أرأيت تاريخنا القديم وأبطالنا الأولين :

لقـد كانوا يتمنون من أعماق قلوبهـم أن تثوى جثثهم الممزقة في حواصل الطير وأجواف الوحوش . وهم هلكى ، لا بين أحضان الأهل الباكين والأحباب المواسين ، ولكن في وحشة الصحراء ورحاب الميادين أو في أفق مبهم من أعماء الدنيا ، وعلى شفة أحدهم وهو يجود بروحه قول الشاعر :

وذلك في ذات الاله وان يشـا
يبـارك على أوصـال شلو ممزع

هكذا مضت سنة الايمـان منذ أبرم عقـد الجنة ، ووصفت آيات الله من وقعوا عليـه بأنهم « يقتلون ويقتلون » .

وهكذا مضت سـنة الرجولة من قديم الزمان . فاعتبرت موت الرجل بين أهله معرة ، لأن هذا شأن النساء والعبيد .

الشرف والمـكرمات فمصارعهم تحمر بهـا صحائف التاريخ ، ويلبس الشفق القانى ثوبه الأرجوانى منها ! وبذلك المعنى هتف الشاعر القديم :

وانا لقوم ما نرى القتل سـبة
اذا ما رأته عامـر وسـلول
تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل
وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منـا حيث كان قتيـل

أجل هذه شارات السيادة الا يموت الرجل حتف انفه ، ولكن يموت في عرصات الوغى .

لـما قتـل الأمويون مصعب بن الزبير ، قام أخـوه عبد الله فخطب الناس فـكانت خطبته تعبـيرا لبنى أمية أنهم يموتون على فرشهم ! اما آل الزبير فقد كفنوا في دمائهم بطلا من بعد بطل ..

وخطب أبو حمزه الخارجي يصف رجاله ، وكيف جند لهم المنايا واستهلكم صدق الجهاد ، فكان من كلامه في لقائهم الحتوف : « استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشباب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليـه سـباع الأرض وانحطت اليـه طـير السماء ..

فكم من عين في مناقير طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله .. !

وكم من كف زالت عن معصمها طالمـا اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . »

فانظر مصاير اولئك الشباب كيف خطها القدر ؟

وكيف تذكر في سياق الدلالة على حب الله والتفانى فيه ؟

ان أولئك الشهداء المستميتين في محاربة البغى ، الذين رضوا ان تدق أعناقهم قبل أن تدق على أبواب الاسلام يد آثمة ، وأن تمزق اعضاؤهم قبل ان يتمكن من الكيد لدين الله كافر سافر أو منافق خناس .

ان أولئك الشـباب الهلـكى ، المبعثرة أحشاؤهم هنا وهنـاك ، سوف تجمعهم القـدرة العليا بكلمة واحدة ، فاذا الجبين المشـجوج ناصـع مشرق ، واذا العين المفقودة حوراء مبصرة ، واذا الجثة الممزعة بشر سوى يقول لله : « آمنت بك وتحملت فيك ما ترى . »

تلك سنة المؤمنين الأحرار ، في المحيا والممات .

« محمد الغزالى »

أصداء الثورة في الشعر العربي

للدكتور ماهر حسن فهمي

يا ثورة الاحـــرار في	مصر سلمت الى القيامه
سحى على وطن الفــدا	سحي عبيرك يا غمـامه
ســحي فللاحرار يوم	تكبر الدنيــا قيــامه
هدي العروش الخائنات	فانت في القدر ابتسامه
يا نيل فجـرك فجـرنا	واراك في الوجنات شامه

بهذه الأبيـات انطلق صـوت الشـاعر العراقي هـلال ناجي يبشر بانتهـاء عهـد ، وباشراقة فجر عـربي جـديد ، يوم قامت ثورة مصر في ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ . فهي ليست ثورة مصر وحـدها ولكنها بشـير بنهضة عربية شـاملة ، وهي ليست ثورة سياسية فحسب ، ولكنها صحوة العملاق ليخطط حيـاته تخطيطا جـديدا ، ويطور قيمه ومفاهيمه ليلحق بركب الدنيا ، وقد يتهم الشعراء بانهم خياليون يقطعون الليل مع احلامهم ، ولـــكن الذى يقطع الليل ساهرا ، هو وحده الذى يرى طلوع الفجر قبل غيره كما يقول « أوسـكار وايلد » ، ومن اجل هذا احس الشعراء بالامل يحدوهم مع طلائع الثورة .

والحق أن الأدب بكل فنونه قد شارك مشاركة فعالة في التمهيد للثـورة ، ففي ميدان القصة نجد «المعذبون في الأرض» لطه حسين ، و « بداية ونهـاية » لنجيب محفوظ ، و «عودة الروح» لتوفيق الحكيم وغيرها من القصص التى صـورت تفـاوت الطبقـات الاجتمـاعية في مصر ، والحيـاة المتفسخة الفاسدة ، وفي ميـدان الشـعر نجد الاتجاه الرومانتيكى الذى غلبت عليه الحيرة الفواحـة بزفرات الحنين الى الأمـل الضائع ، والخيال الجامح الذى يفر الشاعر على أجنحتـه من مرارة الواقع وشـقائه . ومن المؤكد أن الهروب من الحياة لم يكن باحسن الحلول ، فقد استطاعت الطبقة الوسـطى الذكية بايجابيتها وثورتها أن تغير ملامح الحياة الكئيبة ، ولكن من المؤكد ايضـا أن كثيرين من أبناء الطبقتين الوسطى والفقيرة كانوا ينعزلون عن المجتمع أو يهربون من الحيـاة ، وأن الأدب بكل فنـونه قد القى الأضـواء على هذا الواقع البغيض ليكشفه لتقشعر لهوله النفوس ، ثم تحاول التفكير في الخلاص .



كانت بداية الثورة اذن ، هى نهاية الشعر الرومانتيكى ، شعر العزلة والهروب من الحياة ، والأمل الضائع والدموع المهراقة ، والخيال المحلق بعيدا بعيدا عن مرارة الواقع . انتهت مدرسة ابراهيم ناجى وعلى محمود طه وبشارة الخورى ، وبانحسار هذه الموجة التى لم تعد تمثل حياتنا المناضلة تفتحت براعم جديدة فى كل ارجاء الوطن العربى ، وتأصلت جذور المدرسة الواقعية . فمحمود حسن اسماعيل الثائر فى ديوانه « نار وأصفاد » ليس هو الشاعر الهارب فى ديوانه « أين المفر ؟ » ، وعبد الرحمن الشرقاوى فى مطولته « من أب مصرى الى الرئيس ترومان » بما فيها من محتوى وشكل جديدين ، غير الشاعر الباكى الذى سبق أن قرأنا له فى الصفحة الأدبية بجريدة المصرى ، والبياتى الشاعر العراقى الرومانتيكى فى ديوانه « ملائكة وشياطين » غير البياتى الذى نعرفه فى دواوينه التالية مثل « أباريق مهشمة » و « المجد للأطفال والزيتون » و « أشعار فى المنفى » وغيرها . وبدر شاكر السياب فى « أساطير » الملىء بالأحلام المجنحة غيره فى « انشودة المطر » ، حتى نزار قبانى الشاعر الغارق حتى أذنيه فى الحب انتشلته الثورة ودفعت به دفعا لخوض غمار المعارك العربية .

تطورت القصيدة فى مضمونها وشكلها كما قلنا . فما هى سمات هذا التطور ؟ كان الشاعر العربى يبحث فى قلقه الدائب عن الأمل الضائع ويتلفت وهو غارق فى مأساته علّه يجد شعاع الفجر أو البطل المخلص .

فيم انتظارى دونما حلم
وغدى الى الأحلام يفتقر
وتلفتى ؟ والأفق مضطرم
دام يموت وراءه سحر

ومفهوم البطل كما أوضحه « سليمان العيسى » هو القادر على أن يعيد « ميلاد شعب مل قتل الدجى » ، شعب يبحث عن معجزة تخلصه ، عن واقع يصهر تاريخه فى شكل عملاق ثائر يفجر الصحراء الجرداء بكل معانى الحياة ، بل يبعث الحضارة العربية فى صورة جديدة ، بعد أن يقلم أظافر الغاصب ، عندها سوف يضحى كل ثائر بروحه ، « وزاره فى النزع طيف البطل » . وهى نفس الصورة التى رسمها البياتى فى ديوانه « المجد للاطفال والزيتون » والتى نقشت فى صدر كل عربى « سمعتهم باسمك يلهجون ، فدى لك العيون » فهو محيى الأمة العربية ومنزل الغيث والأمل فى صحراء حياتنا التى أحالها الظلم والبؤس جرداء خاوية ، وتتكرر عشرات النسخ من نفس الصورة عند عشرات من الشعراء العرب مثل السياب وناجى علوش وهلال ناجى وغيرهم . لم تعد اذن صورة « المثل » هى صورة الغارق فى أحلامه او الهارب من الأيام وانما تحددت ملامح البطل المنقذ منذ قامت الثورة المصرية ، ورأى فيها الشعب العربى فى كل مكان بداية فجر جديد ، وفى بطلها صورة الفتى العربى المناضل الذى كنا نبحث عنه وتتلفت حائرين فلا نجد الا مصرع النهار على مذبح الليل فى كل يوم .

كل هذا حق ، ومن الحق ايضا أن الشخصية العربية بمقوماتها لم تكن واضحة المعالم لأن رعشة الحياة خبت فى الجسد كله ، ولو قمنا باحصاء الشعراء البكائين على العروبة — قبل الثورة — لم نكد نستثنى منهم أحدا ، وليس ذلك بعجيب فهذا الشعر صورة صادقة للحياة الباكية نفسها ، بما فيها من استسلام وقطيعة وذل ، ولكن مفهوم القومية العربية لا يلبث أن يتبلور ويتجسد وتتضح مقوماتها وأهدافها . وعندما كان الشاعر العربى يردد قبل الثورة « انى أرى سبب الفناء وانما سبب الفناء قطيعة الارحام » ، كان يعتقد أنه لمس لب الحقيقة ، وأنه قد أدرك السبب قبل غيره من الباحثين الذين يرون بوادر الفناء ويحومون حول اسبابه ثم يبعدون فيرون أن الانسياق وراء الثقافة الغربية هى السبب أو أن الاستعمار هو السبب ، مع أن كل ذلك ليس الا نتيجة حتمية للتمزق ، لم يعد الأمر فى أعقاب الثورة عاطفة عربية تتحدث عن قطيعة الارحام ، وانما انبعثت الشخصية العربية قوية جارفة تتخطى الحواجز وتبلورت القومية العربية فى شكل عقيدة لها مقوماتها كما ذكرنا ولها فلسفتها . فالشاعر اليوم يتناول مضامين جديدة وهو يتحدث عن عقيدته ، فهى « وحدة فى المصير » وهى « تاريخ

امجادنا ، ثم هى قد تحولت من عاطفة الى عقيدة « عروبتى فكر أصيل ، يبتنى الوحدة ، وهى « ثورة جيل جديد آمن بالحيدة » .

والمطلع على قائمة المراجع التى نشرتها دار الكتب متضمنة الكتب الخاصة بالقومية العربية يدرك من الخط البيانى الذى ارتفع بعد الثورة ارتفاعا غير متدرج ، أن تلك العاطفة التى كانت تجول بالصدور وينطق بها اللسان فى تثاقل ، قد تحولت الى فكر وتحليل ودراسة ، فعدد الدراسات التى طبعت فى البلاد العربية قبل ثورة ٢٣ يوليو لم تكن تزيد على اصابع اليدين ، ثم يرتفع الخط البيانى فى ست سنوات فقط ـ وهو تاريخ طبع نشرة دار الكتب ـ الى حوالى ثلثمائة كتاب كانت هذه الحقيقة متوارية خلف حجاب كثيف من التيارات السياسية ، ثم كانت فترة ما بين الحربين فترة كافية لأن تختمر فيها هذه الحقيقة فتتوالى الثورات فى كل البلاد العربية . ومن الواضح أن تلك الثورات لم تحقق الآمال التى كانت معقودة عليها ، فقد أدت الأحداث فى مصر مثلا الى تعاون الأحزاب مع الاستعمار أو مع القصر بعد عام ١٩١٩ ، وفشلت ثورة العراق التى قادها رشيد عالى الكيلانى كما فشلت ثورة الشام عام ١٩٢٦ ، ولكن هذه الثورات نفسها كانت نقطة البداية . ثم بدأ العرب يجربون قوتهم ضد عدوهم فى حرب فلسطين ، كالفتى حين يبدأ فى استعمال يديه فى معاركه بعد أن يشعر بطاقته ، وأخيرا انطلق العملاق ، نضجت قوته العقلية واستوت قوته البدنية ، فانطلق يصارع بهما معا من أجل تثبيت شخصيته ، ومن أجل حياة أفضل .

وهكذا اندحرت الفكرة الاقليمية ، وكان مصدر الخطر الحقيقى فى هذه النزعة هو ايمان كثيرين من العرب بهذه الخطوط الوهمية ، فلقد نشأ جيل من الناس لا يعرف الا هذه الحدود الجديدة ، أما الشيوخ الذين يعرفون حقيقة المأساة ، فقد استكان كثير منهم الى الواقع بعد أن كانوا من مكافحى الأمس . اندحرت الفكرة الاقليمية وتوارت مسرعة عجلة ، والدارس لشعر اليوم ، يجده ينبض عن قلب واحد كأنما هو وجدان فرد واحد ، يتلقى أصداء الحياة من بيئة واحدة . كل هذا يجعلنا ندرك ارتباط الاقليمية بالشعر الرومانتيكى وموجته التى طغت فى فترة ما بين الحربين، فالمسايرة الزمنية واحدة والعزلة التى رانت على الشاعر الرومانتيكى هى نفس العزلة الاقليمية ، والانطواء على النفس هو نفس الانطواء الذى طبع حياتنا المنعزلة فى ظل الاقليمية ، والظلم والفساد الذى صاحب تطور الرأسمالية والاقطاعية فى ظل الدوائر الصغيرة التى رسم الاستعمار مراكز كل منها واقطارها ،هو نفس الاستسلام والكآبة التى طبعت الشعر الرومانتيكى ، والفرار على أجنحة الخيال من هذه الدوائر الصغيرة هو الأمل الذى داعب الشعراء من أجل حياة أفضل .

وهكذا انداحت موجة الرومانتيكية بكل قيمها حين انبعثت الثورة المصرية رافعة لواء القومية العربية من الخليج الى المحيط ووجدها الشعراء « جوهرا فردا وابداعا ودينا ، ان خبت تخبو وان استيقظت، يستيقظ الابداع فينا » وكأنما أحس الشعراء فعلا أن يقظة الشعر النضالى الجديد قد ارتبط بوجود هذا الجوهر ، فاستيقظ الابداع كما يقول « جميل شلش » بعد أن كانت الأحلام الرومانتيكية تهدهد غفوته ، ثم يستمر نفس الشاعر فى القصيدة :

انها خصب وحب وسلامه
انها انشودة الثورة تستيقظ فينا
مشعلا حرا على درب الكرامه
فهى اعصار وبركان ونار

فهى خصب بعد حياة جرداء ، وهى سلام ، ولكنه سلام القادر لا سلام المستسلم ، وهى حب ، ولكنه ليس الحب الرومانتيكى بكل صوره الكئيبة المهومة ، انه حب الوجود بعد حب العدم ، قامت الثورة لتنير الطريق الى درب الكرامة وهى اعصار يجتث الاعشاب الصفراء التى تعوق نمو حياتنا ، فلم يبق أمام الشاعر الا أن يغنى الشعب العربى المناضل ، نشيد الثورة والحرية والنضال .

والقارىء لشاعر عربى كالسياب ـ على سبيل المثال ـ يجد ديوانه « أساطير » يضم هذه العناوين (سراب ، اللقاء الاخير ، نهاية ، سجين ، ذكرى لقاء ، سوف أمضى ، هوى واحد ، لن نفترق ، الموعد الثالث ، أساطير ، وداع ، ملال ، ستار) ولو درسنا عناوين قصائد الشعراء العرب قبل الثورة المصرية لخرجنا باحصائية فريدة حين نقارنها بعناوين قصائد دواوينهم بعد الثورة ففى « أنشودة المطر » لنفس الشاعر تطالعنا هذه العناوين (انشودة المطر ، بورسعيد ، المومس العمياء ، حفار القبور ، الأسلحة والأطفال ، جيكور والمدينة ، غريب على

(البقية على صفحة ٣٤)

بين عهدين

للشاعر: محمود غنيم

لا مصر مصر ولا السكان سكان واد جديد وقوم غير من كانوا
عهدان : هذا عزيز ملؤه رغد وذاك طابعه ذل وحرمان
ثلاث عشرة مرت لم تدع حجرا الا تناوله نقض وبنيان
خطا الشعوب وئيدات فكيف بنا مرت علينا الليالى وهى ازمان ؟
يكاد ينكر طرفى ما اشاهده كأن طرفى يرنو وهو وسنان
اذا مشيت بسيف النيل انكره وربما انكرتنى منه شطآن
قد كان يجرى ذليل الماء مكتئبا ما باله اليوم يجرى وهو نشوان ؟
على المجرة جر الذيل مفتخرا أما ترى الموج فيه وهو ميسان ؟
من للمجرة بالسد الذى رفعت أسواره فوق ماء النيل أسوان ؟
أين العميد بشط النيل يملكه طرا كما ملك الدنيا سليمان ؟
وأين سدته تعنو الجباه لها وتنحنى فوقها هام وأذقان ؟
والنيل يعصر للمحتل كرمته وسادة النيل للمحتل عبدان ؟
لا يعجبن ذليلا حسن بزته بعض الثياب على الأحياء أكفان
اليوم ينساب ماء النيل منطلقا خريره نغم شاج والحان
يارب عصر مضى لا النيل مرتجز ولا تحس خرير النيل آذان
بطيب للغاصب المحتل سلسله وابن البلاد بماء النيل غصان

***

لا يرجع الله عهدا دال دائله ساد السواد به جور وطغيان
كل امرئ عاكف فيه على وثن والمالكون زمام الامر أوثان
كنا وكانت به أهدافنا سلعا لهن فى مصر اسواق وأثمان
بل الزعامة فيه كل متجر يريد ربحا وحظ الشعب خسران
من كل صائغ أقوال منمقة كأنه فى مجال القول سحبان
على المناصب بين القوم معركة كبرى لها ألف ميدان وميدان
والأجنبى يدير الحرب عن كثب فى مصر وهو قرير العين جذلان
كانوا نعاما اذا نار الوغى اتقدت لكنهم اذ يسود السلم فرسان
كم أنكرت عهد الاستعمار شرذمة هم لا سواهم للاستعمار أعوان
زعامة كان الاستقلال فى يدها عصماء يعرضها فى السوق دهقان
ما كان فى يدها استعمار مصر سوى قميص عثمان لما مات عثمان

تموز بالثورة البيضاء تاه على ... كل الشهور فغض الطرف نيسان
شتان بينهما هذا يفوح به ... زهر وذاك ليوم النصر ابان
أنعم بها ثورة باتت تسير على ... مشكاتها أمم شتى وبلدان
آثارها عربي السمت أسمر من ... صميم مصر بماء النيل ريان
في عصبة من بني الأهرام شامخة ... بناهمو لو يلين الصخر مالانوا
مبرئين من الآراب ما علقت ... بما عليهم من الأثواب أدران
غذاهمو من ثمار النيل يانعها ... ومن حرائر وادي النيل ألبان
على أكفهمو أرواحهم هبة ... منهم لتحرير واديهم وقربان
لهم قلوب على الأوطان سائلة ... من رقة وهي يوم الروع صفوان
لم يولدوا في قصور العز شامخة ... يزين أبهاءها حور وولدان
بل أنبتتهم عصور كلها محن ... للظلم فيها كما للطيف ألوان
والشعب يصلحه أبناء جلدته ... هيهات يأسو جراح الشاء ذؤبان
لا يحسم القول عدوانا على وطن ... وإنما يحسم العدوان عدوان
لا يطفيء الماء نيران العدو إذا ... أغار بل تطفيء النيران نيران
ثلاث عشرة ما شاب الشباب بها ... ولا تجاوز سن الرشد غلمان
قد حققت معجزات لا يحققها ... لمصر في عالم الأحلام انسان
ولا تنبأ رمل الضاربين بها ... إذا تنبأ بالأسرار كهان
ولا تدور لشعر في مخيلة ... والشعر تدنو له الشعرى وكيوان
أنى اتجهنا رأينا نهضة عمما ... لها أساسان : انصاف وعمران
ياليت شعري أعهد السحر قد رجعت ... فيه العصا وهي فوق الأرض ثعبان ؟
كلا لعمري ما السحر المبين سوى ... عزم شديد القوى يحدوه ايمان

❋ ❋ ❋

عهد الخواقين قد طاح الزمان به ... ما عاد يزهى بتاج الملك خاقان
قد حطم المارد العملاق قمقمه ... فما لغير سواد الشعب سلطان
والملك عبء يئود الظهر محمله ... لا هامة عاطل بالتاج تزدان
ليست ملوك الورى أنصاف آلهة ... ولا رعاياهمو في الأرض قطعان
بالأمس كان لنا عرش أقيم على ... غير الولاء فلم يصلح له شان
والعرش عزته من عز أمته ... إن هان شعب على حكامه هانوا
هيهات يثبت عرش الملك إن هو لم ... تسنده من شعبه المحكوم أركان

❋ ❋ ❋

تموز ذكرتني ما لست ناسيه ... والذكريات مسرات وأحزان
ذكرتني القصر إذ طاف الجنود به ... وربه عن صروف الدهر غفلان
صريع كاس غريق في مباذله ... يا ليت شعري أقصر ذاك أم حان ؟
الشعب كان سجينا عند مالكه ... فبات وهو لرب التاج سجان
قضى شريدا فما أدمى القلوب ولا ... سالت عليه من الأجفان غدران
والدهر قاض إذا جار القضاة على ... حق ففي يده للعدل ميزان

« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

المليح ، قافلة الضياع) ، وحتى قافلة الضياع يتحدث فيها عن مأساة فلسطين ، ومنهج الشاعر فى التعبير عن تجربته يختلف عن منهج الشعراء السابقين، فشوقي مثلا عندما تحدث عن نكبة دمشق فى قصيدته « سلام من صبا بردى أرق ، ودمع لا يكفكف يا دمشق » تحدث عن القضية فى أفقها العام ، والشاعر الرومانتيكى كان مشغولا بذاته عن القضايا العامة فى أكثر الاحيان ، ولكن الشاعر الواقعى ارتبطت القضية العامة بذاته ارتباطا كاملا مسئولا .

أنا أيها الطاغوت مقتحم الرتاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يازف هذه سحب الغروب

ولكن السؤال الآن : لماذا ارتبط انتشار الشعر الحر بفترة الثورة وأصبح قالبا لأكثر المضامين الجديدة ؟ من الواضح أن الأمر لا يتعلق بتفسخ إنسان العصر الحديث كما يحلو لكثير من النقاد أن يقولوا تفسيرهم ، لأن الانسان العربى فى مرحلة ثورة وليس فى مرحلة تفسخ كالغربى اللامنتمى الذى يدرك أن حضارته قد آذنت بالزوال ، ولكن الأمر يتعلق بالشخصية العربية التى حاولت التعبير عنها فى مختلف الميادين ، فكانت الثورات العسكرية هى التعبير السياسى والاتجاه الى التصنيع هو التعبير الاقتصادى والشعر الحر هو التعبير الأدبى ، معنى هذا أن الثورة قد حطمت كثيرا من القيود السياسية والاجتماعية والفكرية ، وهكذا حطم الشعراء بأيديهم ما رأوه قيودا تعوقهم عن الانطلاق والحرية . ولكن الثورة حين بدأت عملية البناء الاجتماعى والفكرى كانت فى حاجة الى تخطيط جديد ، ومن هنا وجدنا – تلقائيا – حركة تخطيط لأصول الشعر الحر فى كتاب **نازك الملائكة** « قضايا الشعر المعاصر » ، لأن الحرية ليس معناها الفوضى ، وقد اضطربت المجلات الأدبية بفيض من هذا الشعر الحر الذى لاتحده قواعد معينة – عند بعض شعراء هذا الاتجاه – حتى وصل الأمر الى درجة كبيرة من الفوضى المطلقة فى مجلة « شعر » البيروتية . وعندما وصلت الموجة الى ذروتها ، بدأت تنحسر تحت وطء التخطيط والتقعيد والنقد ، وهكذا رأينا نازك الملائكة – **وهى من رواد الشعر الحر** – تعود مرة أخرى الى الشعر العمودى فى قصائدها الأخيرة ، مصورة فى قوالبه ، مضامينها الجديدة .

« د. ماهر حسن فهمى »

ثورة الحرية

للشاعر : أحمد عبد اللطيف بك

فى قيود الذل ، فى ذل الشقاء
عاش شعب لم يجد غير العناء
شاءت الأقدار فى عليائها
أن تعيد « الحق » فى نور الرجاء
ثار « احرار » ، لتحيا أمة
عزها الله بعز الأقوياء !
فى بطولات تجلت ، فانجلت
عتمة ، وانشق « فجر » بالضياء
بين اشعاع بدت « حرية »
قد تنادت ، واستعزت بالنداء
صوتها فيه جلال ماثل
انها تحكى به « صوت السماء » !
« ثورة الحرية » العليا بها
آية التمجيد فى معنى العلاء
حطمت ظلما ، بروح عادل
ثم قامت تبتنى حر البناء
اذهل العالم ما قامت به
بين آيات التفانى ، والوفاء
قد أعز الله شعبا ماجدا
لم يرد غير التسامى فى البقاء
ظن « صوت البغى » فى طغيانه
أنه باق ، فافناه الفناء
بدد الله له ... أهواءه
بعد أن أعلى « قصورا » فى الهواء
وانطوى عهد – على بهتانه –
كل بهتان مآل لانطواء
والأُلى خطوا العلا فى سيرهم
قد أعدوا « منهجا » فيه الوفاء
عن « جمال » الحق صانوا عهدهم
فاستقام الأمر منهم بالاخاء
ان هذا الشعب فى نهضته
يرقب الآمال عن روح المضاء
حقق الله له آماله
فى « نقاء » الروح يحبوه الرخاء !

ثورتنا الثقافية

بقلم محمد عطا

ربما لانغالى اذا ذهبنا الى أن ثقافتنا حتى غداة الحرب العالمية الثانية كانت ثقافة ميتافيزيقية او ثقافة تعيش على الماضى ولا تكاد تحفل بالصراع الفكرى والمذهبى الذى ساد العالم ولا بالواقع المؤلم الذى يعيش فيه العالم العربى ، كان أعلامنا من الكتاب يجترون تراثنا القديم وان اصطنعوا المنهج الحديث فى الكتابة والتاليف ، ولم يخرجوا عن هذه الدائرة الا فى الأقل الأندر • خرج الدكتور طه حسين فكتب كتيبه « **المعذبون فى الارض** » وخرج توفيق الحكيم فى قصته الطويلة « **عودة الروح** » وربما عالج كتاب آخرون موضوعات ثقافية ثورية ولكن قراءهم كانوا قليلين ولعل تكتابنا بعض العذر ، فقد انصرفوا الى الكتابة عن عباقرتنا وأجدادنا العظام ومفكرينا حتى لا ينصرف شبابنا الى عبادة أبطال الغرب وحتى لا تتكون فيهم عقيدة افقار الشرق من المكافحين الابطال ، وهذا خطر شديد كان ينبغى درؤه والتصدى له ، ولا شك أن هؤلاء الكتاب قد أدوا واجبهم فى هذا الصدد ، ونحن من أجل ذلك لانحملهم تبعة التقصير أو نرميهم بالسلبية أو الخنوع ، لقد مثلوا عصرهم وان لم يمهدوا للعصر الذى بعدهم حتى جعلوا كاتبا من كتابنا يعد تلميذا لهم يفاجأ بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأحداثها وهو الكاتب « نجيب محفوظ » الذى توقف فترة عن الكتابة بعد قيام هذه الثورة حيث قال فى أحد أحاديثه « وفجأة اذا بالرغبة فى الكتابة الرومانسية التاريخية تموت فى نفسى ، وأجدنى أتحول الى الواقعية فى « القاهرة الجديدة » بلا مقدمات ، وظللت غارقا فيها حتى أنهيت الثلاثية فى ابريل عام ١٩٥٢ وكانت أمامى سبعة موضوعات لروايات أخرى فى نفس الاتجاه الواقعى النقدى ، واذا بثورة ١٩٥٢ تقوم فتموت معها الموضوعات السبعة من حيث الدافع لكتابتها •

واذكر انى عرضت هذه الموضوعات على عبد الرحمن الشرقاوى وبعض الزملاء الادباء ودهشوا لانى لم اكتبها ، فما أكثر الذين بدءوا بعد الثورة ينقدون فى أعمالهم الأدبية مجتمع ما قبل الثورة ، أما أنا فقد حدث التوقف الثالث فى حياتى الأدبية ، اذ حينما ذهب المجتمع القديم ذهبت معه كل رغبة فى نفسى لنقده • وظننت انى انتهيت أدبيا ، ولم يعد لدى ما اقوله او أكتبه ، وأعلنت ذلك وكنت مخلصا فيه ولم يكن الأمر دعاية كما ظن البعض ــ وظللت على هذه الحال من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ لم أكتب كلمة واحدة ، ولم تنبعث فى نفسى رغبة فى الكتابة وكنت أعتبر المسالة منتهية تماما حتى وجدتنى أكتب « أولاد حارتنا » وأنشرها سنة ١٩٥٩ » •

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية قويت الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى ونشر العدالة الاجتماعية حتى فى الدول الرأسمالية كانجلترا مثلا ، وتردد صدى هذه الدعوة القوية فى الدول التى تعانى من الشقاء والبؤس ومن بين هذه الدول مصر فانبرى بعض الكتاب القلائل لنشر الوعى الاجتماعى والعمل على التخفيف من حدة الشقاء والبؤس السائدين • فى هذه الفترة بالذات تكونت الطليعة الثورية فى كل قطاع من القطاعات ، فى قطاع الجنود وفى قطاع الاعلام وفى قطاع العمال وفى قطاع المثقفين وأخذت كل طليعة فى محيطها باسلوبها الخاص ولكنها لم تتجمع على صعيد واحد بفعل الظروف القاسية التى يعيشون فى ظلها من تعقب الأحرار فى كل مكان وتشريدهم وتعذيبهم وسجنهم واضطهادهم •

ومما لا شك فيه أنه كان يسود البلاد فى هذه الفترة احساس بالسخط العام ، واحساس بالتغيير المحتوم وكانت له نذره وارهاصاته من ثورات الفلاحين واضرابات العمال والمظاهرات الصاخبة التى كانت تجوب شوارع القاهرة وأخيرا حريق القاهرة المروع •

وفى هذه الفترة بالذات وضعت بذور الثورة الثقافية ، وأعنى بها الثورة على المجتمع القديم المتهالك ثورة التحرير ، تحرير الوطن وتحرير المواطن ، والوطن الذى تعنيه هذه الثورة هو الوطن العربى بأسره من المحيط الى الخليج ، والمواطن الذى تعنيه هو المواطن العربى لا المواطن المصرى أو السورى أو الجزائرى أو اليمنى واذن لم تكن حدود هذه الثورة تقف عند حدود مصر ولكنها تجاوزتها الى البلاد العربية التى ترزح تحت نير الاستعباد بكل صوره وألوانه ·

ثم انفجرت هذه الثورة بكل طاقاتها حين قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، وكان هذا الانفجار حين نجحت الطليعة الثورية فى الجيش فى أن تكون لها المبادأة والمبادرة وأن تحقق الحلم الذى كان ينشده المثقفون الثوريون فى القطاعات الأخرى ، وأن تمضى قدما فى التبشير بالقضاء على الاستعمار والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، وكان معنى هذا التبشير أنها ثورة تقدمية وأن القائمين بها فى قمة الطلائع الثورية ثم كانت عند كلمتها واستطاعت أن تحرر البلاد من الاستعمار ، وأن تقضى على الاقطاع ، وأن تقلم أظفار الرجعية ، ومكنت لنفسها بهذا النصر الحاسم فى معركة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وباصدار القوانين الثورية فى يوليو ١٩٦١ حين أعلنت الدولة الاشتراكية الديمقراطية واعلانها هذا أدى الى أن يلتف حول علمها المثقفون الثوريون الذين أظهروا ترددا قبل هذا الاعلان العظيم ·

ومعنى ما تقدم أن الثقافة الثورية قد مكن لها أو مهد لها الطريق ، ولكن ما هى الثقافة الثورية ؟ الثقافة الثورية فى مفهومى هى التى تحمل على الرجعية والتخلف وتمكن للأفكار الجديدة التقدمية هى التى تنادى بحرية الوطن والمواطن ، وتمهد للقضاء على الطبقية حتى يعيش الناس فى المجتمع متساوين كراما ·

ونحن أحوج ما تكون اليوم الى هذه الثقافة الثورية ، وأن نجعل لها المقام الأول لأن سموم الرجعية ما زالت تنفث ، ولأن التخلف ما زال يعشش فى أدمغة بعض الذين يعايشوننا ويسيطر على سلوك بعض من يحيون فى محيطنا ، ولأن التقدمية معناها التحرك والمبادأة ، معناها التطور والتغير ، ولن يكون تحرك ولا تطور الا بالقضاء على السلبية والتقوقع والانتهازية ، ولأن الأشتراكية فيها معنى عقائدى يحتاج الى تأكيد وتثبيت وتمكين وتوضيح وتفسير ، والى شوط طويل نقطعه ونحن فى يقظة وتأهب ، ولأننا شبعنا وارتوينا من الثقافة السلفية ، واذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نمكن للقادة الثوريين من نشر آرائهم وأفكارهم فى الأجهزة الثقافية المختلفة ليمهدوا للأجيال القادمة ·

ولا شك أننا فى العيد الثالث عشر للثورة قد استطعنا أن نحقق هدفا عظيما فى ثورتنا الثقافية، هذا الهدف هو جعل الثقافة للجميع ونشر الثقافة فى أوسع محيط وبأجهزة الثقافة المتعددة فنشر الكتاب على نطاق واسع فى طبعات شعبية وغير شعبية ، وتعددت المسارح ، وتكونت فرق تمثيلية، وأقبل على المسرح رواد متعددون بلغوا مليون مشاهد فى العام الماضى وكثرت الافلام السينمائية وتعددت دور العرض التى قدمت فيها أفلام جادة تبشر بنهضة سينمائية فى المستقبل القريب ، وتقدم فن الموسيقى وقام على أصول وقواعد فنية أصيلة ، وزاد الارسال الاذاعى والتليفزيونى زيادة مذهلة ولونت البرامج ، وتعددت القنوات والمحطات الاذاعية ، وأصبحت لنا مجلات أدبية وفنية « الرسالة » و « الثقافة » و « الشعر » و « القصة » و « الفنون الشعبية » و « المجلة » و « المسرح » و « الكتاب العربى » و « الهلال » ·

ومن المؤسف والمخجل أنه لم تكن لدينا مجلة أدبية واحدة قبيل الثورة ، وقد سجل علينا هذا المأخذ أكثر الكتاب الغربيين ·

وعلينا فى المرحلة القادمة أن نحقق الهدف الثانى لثورتنا الثقافية وهو التأصيل لثقافتنا العربية محاولين ما أمكن تذوق العالم لها بصبغها بالصبغة العربية الانسانية، فتعدد الثقافات ضرورى للحضارة الحديثة اذ أن انتصار الحضارة على زاد واحد معناه جدبها ثم احتضارها اننا نريد لثقافتنا سمتها الخاصة ، وطابعها الخاص ، وروحها الخاصة فاذا قرأها الأجنبى أحس بأنه يعيش فى جونا ، ويتنفس بروحنا ويحيا فى مجتمعنا ، هذا المجتمع ذو الشيات الخاصة والنكهة العربية ، وقد يرى بعضهم أن تعدد الثقافة يضر بالتقارب العالمى ولكن الامر غير ذلك ، فالتعدد والتلوين والاثراء معناه الحياة والتجدد والخصب والنماء ، ومعناه فى الوقت نفسه نشاط المجتمعات الانسانية وحيويتها أما التكرار والمحاكاة فدليل على

الجدب والضعف والتخلف ، فلن يوجد مجتمع تام من غير حركة دافقة ، حركة سياسية واجتماعية وثقافية اننا نريد للقصة العربية فى المرحلة القادمة أن تحكي واقعنا ، وتنقل الى العالم مجتمعنا بخيره وشره ، حلوه ومره ، بالنضال الذى يدور فيه ، بالصراع الذى يحتدم فيه ، بالمتناقضات التى تظهر فيه ، بالقوى التى تتجاذبه الى خلف والى امام ، بالطابع الذى يجسده ، والنوازع الانسانية التى تصطخب فيه ، ونريد للشعر الا يكون ذاتيا خالصا بل أن يتغنى بآلام المجتمع وآماله ، ويكون نابضا بالخلجات الانسانية ، هاتفا بالقضاء على المتناقضات ، نابعا من روح عربية أصيلة ، بلغة مسلسلة يفهمها العام قبل الخاص ، فالأدب فى عصرنا لم يعد قاصرا على فئة خاصة أو جماعة بعينها ، بل انه يخاطب الجماهير العريضة ، والأديب الحق هو الذى يصل بقوله الى أوسع قاعدة واضخم جبهة ، على أن تأثيره وانطباعاته قد لا تكون بدرجة متساوية فى أذهان الجميع فهناك الدارس الواعي الذى يقرأ فى عمق وهناك القارىء العادى الذى يقرأ للمسلاة أو هو بطبيعة تعلمه لا يستطيع الوصول الى أغوار الكاتب ولا شك أن مثل هذا الاخير كثرة ، ولكن هذا الأثر السطحى بمعونة الناقد يرفع مستوى الجماهير ، ويدفع بعضهم الى أن يتابع قراءاته ، ويولى الموضوعات المطروحة اهتماماته . لقد كان الشاعر الجاهلى القديم يخاطب جمهور القبيلة باللغة التى يفهمها ويتذوقها فيطرب له ، ويطلب المزيد من انشاده ، فعلى شاعر العصر أن يخاطب جمهوره بلغة عصره واسلوب عصره وتفكير عصره حتى يفهم عنه وحتى يكون تأثيره اعظم واعمق.

وكذلك الأمر بالنسبة لكاتب المسرحية الذى يجب أن يتخذ موضوعه من واقع الجماهير ومن حياتهم وانه لمما يبشر بخير أن بعض الكتاب المسرحيين المعاصرين فى بلدنا قد نهجوا أخيرا هذا النهج وظهرت مسرحيات لامعة لبعض كتابنا كسعد الدين وهبه والدكتور يوسف ادريس ومصطفى محمود ونعمان عاشور وتوفيق الحكيم ورشاد رشدى ولطفى الخولى ، مسرحيات نرى فيها حياتنا أو جوانب من حياتنا وتعرض لنا بعض مشكلاتنا والمتناقضات القائمة بيننا .

وثورتنا الثقافية حتى تكتمل أركانها وعمدها ينبغى أن تطور نفسها يطلع مثقفونا على المنابع الثرة من الشرق والغرب ، ويدرسوا اتجاهات الفنون الحديثة وأساليبها وافكارها ويفيدوا من الآثار الرائعة والقمم الشامخة فى الآداب العالمية ، فالتلقيح الثقافى يؤدى الى اخصاب قوى يحمل بذور البقاء والخلود ، وثقافتنا على مر العصور كانت ثقافة قائمة على الاخذ والعطاء ، وخاصة فى عصرها الذهبى فى العصر العباسى . انها ثقافة ليست مغلقة او متعصبة ولكنها ثقافة مفتحة النوافذ ، متجددة .

لقد ركدت ثقافتنا فترة طويلة وخاصة فى عصور المماليك والأتراك ولم تبدأ فى النهوض الا فى أخريات القرن التاسع عشر حيث حاولت بعث التراث القديم ، وترجمة الآداب العالمية وظلت تعيش على ذلك حتى ثلاثينات القرن العشرين ، وهنا بدأت تشع اشعاعات كانت ارهاصا للنهضة الثقافية ثم خاض المجتمع العربى حربا عنيفة ضد الاستعمار ، وبرز المقال فى هذه الفترة ثم كان مبدأ ظهور القصة الحديثة فى « زينب » للدكتور محمد حسنين هيكل .

وهذا التخلف الثقافى الطويل وهو انعكاس للتخلف العسكرى والاقتصادى كان من الصعب التحرر منه ونحن يخنقنا الاستعمار والاقطاع فما أن تخلصنا منهما ، وبدت قوتنا العسكرية والاقتصادية حتى كانت نهضتنا الثقافية الاصيلة التى يمكن ان يؤرخ لها مؤرخ الادب الحديث بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبالاحرى عقب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

لقد اصبحت لنا شخصيتنا الدولية المستقلة ، واصبح لنا كياننا المادى ، واصبحنا احرارا كراما نشعر بالحرية والكرامة ، وهذا الشعور هو الذى حرر افكارنا ، ونقلنا نقلة كبرى الى أن نسجل هذه الأحاسيس والمشاعر وان يظهر فننا بمظهر القوة والثراء ، وأن يزيل منا عقدة مركب النقص ، وأن نسطر مكنون نفوسنا ، وان نصور الآمال العراض التى تملك علينا آفاقنا ، ونجسد الآلام التى كنا نجول فيها أو نضج منها ، وان نشارك اخوانا لنا لم تتح لهم الحرية بعد آلامهم واشجانهم فى الوقت الذى اتينا فيه الا أن نحمل معهم السلاح وأن نخوض معهم المعارك وان نشاركهم التضحيات ، وان نخاطب الضمير العالمى ليؤيد دعوتنا الصادقة فى المساواة الحقيقية بين البشر ، فلا أسود ولا أبيض . ولا حر ولا عبد وكذلك فى المساواة الحقيقية بين الامم فلا قوى ولا ضعيف ولا كبرى ولا صغرى ، وسنظل نحمل السلاح والقلم ولن نتخلى عن أى منهما حتى تحرر الشعوب ، والافراد على السواء .

« محمد عطا »

رسالة .. الى وحدوي .. سجين

للشاعر: علي محمد محمد

صديقى !.. ايها الخالى الى نفسك ..فى السجن
تصون جبينك العالى عن الاطراق .. والحزن
وخلفك .. شعبك الغالى شهيد البطش ..والغبن
وحشد رؤى .. وآمال وراء كفاحك المضنى
تلفت نحوك الفجر .. يعانق روحك الحرة
وحام المجد .. والنصر .. على وحدتك ..المرة

***

اخى !..والليل حول السجن ..مصلوب على الافق
وغول الصمت .. يفغر فاه .. يفغر فاه .. كالنفق
يشل الحس.. فى الآذان .. والاقدام .. فى الطرق
وانت هناك .. ترقب موكب الاجيال .. فى قلق
تشق السفح صاعدة .. لفجر القمة الفضى
فتجذبها حبال الليل .. فى عنف – الى الارض

***

اخى !.. ماقصة السجان .. فى اسطورة الزمن ؟
تحجر خلف باب السجن .. حتى عاد .. كالوثن
واعفن روحه .. المنخوب .. كالجثمان فى الكفن
فلم يمنع اكف الريح .. ان تنساب .. بالسفن
الى الشطآن .. والعمران .. خلف العالم الازرق
لتفرش دربنا .. العربى .. بالريحان .. والزنبق

***

اخى ! .. لن يحبسوا التاريخ .. فى اعماق زنزانه
اخى .. لن يعصبوا فى ظلمة الاسوار .. اجفانه
اخى .. فليسال الطاغوت – تحت القبر – اقرانه
فكم وقفوا امام الوعى .. يحتبسون طوفانه
وكم قتلوا..وكم سحلوا..وكم شنقوا..وكم خنقوا
وفوق قبورهم ..عبرت خطى التاريخ .. تنطلق

***

صديقى .. اننا نجرى مع التاريخ .. فى المجرى
طلائع نحن .. نرتاد المصير .. ونسبق العصرا
نقبنا فى جدار الليل نقبا .. افرغ الفجرا
فاشرق فوق امتنا .. صباح الوحدة الكبرى
ومهما أسرف الاقزام .. فى الطغيان والعسف
فلن يتقهقر التاريخ .. لن يرتد .. للخلف

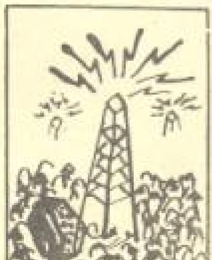
***

اخى ! .. لم تبق ايام .. نبعثرها على الدرب
تعثر خطونا .. حتى تخلفنا .. عن الركب
شاونا الغرب فى الماضى .. وعدنا طعمة الغرب
يمزق شملنا .. ليصول فوق مجالنا الرحب
فقل للثعلب المخمور .. عندك .. من دم الفتنه
ستغرق قبرك الاجيال .. فى سيل .. من اللعنة

***

صديقى !.. عندمايبدو شعاع الفجر ..فى الافق
ويصحو الشعب .لاالفرد على اضوائه .. الباق
ويوضع عندنا .. حد للاستغلال .. والرق
فلاتسمع من يشدو بغير العدل .. والحق
هنالك .. ينصت الفرع .. الى ترنيمة الجذر
ويقضى ذلك الوضع .. على الحرمان .. والفقر

الثورة والإذاعة



الدكتور : محمد المعتصم سيد

« ان الثورة تنظر الى الاذاعة كجامعة عامة ، مفتوحة الابواب للجميع توزع عليهم من الثقافات الادبية والفنية ، ما لو صح لاعان على تربية الشعب التربية القومية التى تزيد من قواه الروحية ، وتؤكد من طموحه ، وتثبت عقيدته فى مثله الوطنية العليا ٠٠ »

جمال عبد الناصر

ثلاثة عشر عاما مرت على ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ٠٠ التى قامت لتعيد بناء وطننا من جديد ٠٠ وعملت منذ اللحظات الاولى لنجاحها على ان تسابق الزمن لتعوض الشعب ما فاته خلال سنى التخلف والظلام ٠٠ ولتلحق بمواكب التقدم التى سبقتنا اليه دول كثيرة ٠

وقد انعكس هذا النشاط البالغ على شتى مرافق حياتنا ٠٠ فشملته يد الزعامة والاصلاح والتطوير ٠ وكان طبيعيا ان تظفر الاذاعة بنصيب كبير منه ٠٠ وكان هدف ثوار مصر أن تقوم الاذاعة برسالتها على خير وجه فى الداخل وفى الخارج ٠٠ وان تكون الرسول الامين لمصر الثورة التى انطلقت على الدرب التحررى الوطنى ٠٠ فرسمت لها سياسة هادفة ترمى الى الترفيه عن المستمع فى الداخل وزيادة وعيه القومى ، واسماع صوت مصر للخارج ٠

والذين عاصروا الاذاعة منذ قيامها عام ١٩٣٤ ، يشهدون بأن الطفرة الهائلة التى انطلقت بها برامجها وموادها وساعات ارسالها وكل مرافقها لم تتم الا مع مطلع ثورة ٢٣ يوليو ــ بحيث يؤكدون أن مولد الاذاعة الحقيقى كان مع ثورة مصر الخالدة ٠٠ واصبحوا يؤرخون لها منذ ذلك التاريخ باعتباره النقطة التى انطلق منها صوت مصر الحقيقى ، صوت الحرية والاحرار ٠

وبقدر ما كان ثوار مصر حريصين على أن تقوم فى البلاد اذاعة وطنية سليمة الاسس والاهداف ٠٠ قوية تستمد قوتها من قوة ايمان الشعب وصدق احساساته ، بقدر ما حرص اعداء مصر ممثلين فى الرجعية والاستعمار على محاربة أقوى أجهزة اعلامنا ٠٠ واكثرها انتشارا دون هوادة ، فاطلقوا عليها محطاتهم السرية والعلنية تحاول ان تشكك المستمعين فى صدق ما تذيعه اذاعة

القاهرة باكاذيب ومفتريات لم تدم طويلا ٠٠ بل كانت سببا هاما من اسباب التفاف المستمعين فى الخارج حول اذاعة مصرالتى حركت مشاعرهم الوطنية وهزت قلوبهم الى حد انها ارقت أعداءها ٠٠ وباتوا يتلمسون السبل للقضاء عليها ٠ ورأوا فى العدوان الغاشم فرصة ليخمدوا صوتها بقنابلهم ٠٠ ولكنهم نجحوا فقط فى ان يزيدوا ايمان الناس بها وحرصهم على الاستماع اليها ٠

وقد قامت اذاعة القاهرة بدور طليعى فى مساندة الحركات الوطنية فى العالم ٠٠ شهد له الجميع ٠٠فكان موضع التقدير والثناء من جانب الاحرار المناضلين ، ومثار السخط والاحتجاج من جانب الدوائر الاستعمارية ، كانت الاذاعة المصرية وراء الثورات التى قامت فى دول افريقيا وآسيا تنادى **بالحرية والاستقلال** ٠٠ وكانت ايضا وراء الحركات التى قامت فى امريكا اللاتينية لتحدد معالم السير ، لشعوب دولها ٠٠ ووقفت من المسائل العالمية ، كموقف التجارب النووية والتسابق الذرى ، ومشكلة توحيد المانيا ، وقضية قبرص ، وموضوع التفرقة العنصرية وغيرها ـ وقفة الاحرار التى تدعو الى حسم هذه المشكلات بما يتمشى مع ارادة الشعوب الحقيقية وبما يؤيد الدعوة الهائلة التى نشأت للتعايش السلمى ٠

وكانت رسالة اذاعة القاهرة من هذه الانتفاضات الثورية والمواضيع السياسية الكبيرة التى تشغل الرأى العام العالمى رسالة هدافه ترمى الى توضيح الرؤيا امام المستمعين ٠٠ والوصول بهم الى اعماق الحقيقة ٠ ولم تدخر فى هذا وسعا ٠٠ بل سعت الى تحقيقه عن طريق البرامج الخاصة وارسال مندوبيها الى مكان الاحداث لتكون رسائلهم خالية من خلط الوكالات الاجنبية وتشويه الاذاعات الاستعمارية ، وقد نجحت فى هذا الدور الى ابعد الحدود ٠٠ فقفز اسمها الى مصاف الاذاعات الأولى فى العالم ٠

ولما كانت الاذاعة المصرية تهدف الى خدمة المستمع المحلى فى الداخل ، كما تعمل على اسماع صوت مصر للعالم ٠٠فقد روعى فى تقسيم فروعها وبرامجها ما يخدم هذا الهدف الذى طرا عليه كثير من التغيير والتعديل ليتمشى مع الطفرة الكبيرة التى انطلقت منها لتصل الى ابعد الغايات ٠

بدأت الاذاعة بساعات ارسال لم تتجاوز ١٢ ساعة يوميا ٠٠ ووصلت اليوم الى اكثر من ١٧٠ ساعة يوميا ٠ وبدلا من أنها كانت تقدم فى عام ١٩٥٢ برنامجها العام فقط ٠٠ اصبحت اليوم تقدم الى جانب البرنامج العام (٢٠ ساعة يوميا) صوت العرب ٢١٫٥ ساعة واذاعة ركن السودان ٦٫٥ ساعة ، والبرنامج الثانى ٣ ساعات ، ومع الشعب عشر ساعات والشرق الأوسط ٩٫٥ ساعة ، واسكندرية المحلية ٧ ساعات ، والبرامج الأوربية ١٥ ساعة ، والبرامج الموجهة ٧٢ ساعة ، والقرآن الكريم ١٤ ساعة ٠

وكان عدد الموجات التى تذيع عليها عندما قامت ثورة مصر محدودا ولا يتجاوز مجال انتشارها حدود البلاد ، فاصبحت الآن تغطى جميع أنحاء العالم بقوة ووضوح ، وتعددت الموجات القصيرة والمتوسطة ونفذت مشروعات استكمال حقل الهوائيات الموجهة والصوارى فى أبى زعبل والمقطم والمنصورة وابيس بعدد هائل من الصوارى والهوائيات الموجهة لاستخدامها فى ربط مناطق الاستماع بما يكفل للمستمعين فى كافة الأنحاء استقبال موجات اذاعة القاهرة والاستماع بما تقدمه لهم من برامج مختلفة ٠٠ واصبحت اذاعتنا بفضل هذا الجهد الجبار ثانى اذاعة فى العالم ٠

وفى مجال النشاط الدولى ٠٠

تسهم اذاعة القاهرة بقدر ملحوظ فى المؤتمرات التى تعقد سواء فى الخارج أو على أرضها لتبادل الخبرات وتحسين الخدمة البرامجية وتقوية الاواصر بين الاذاعيين ٠ وتنظيم توزيع الموجات الاثيرية ٠ وقد بلغ عدد المؤتمرات التى اشتركنا فيها خلال السنوات الماضية حدا يقطع بنشاطنا فى هذا المضمار ٠

وفى مجال النشاط الاقليمى ٠٠

انتظمت وفود الاذاعيين من سائر أنحاء الوطن العربى للالتحاق بمعهد التدريب الاذاعى الذى أنشأته اذاعة القاهرة لصقل المواهب الاذاعية ، وتمكين العاملين فى الاذاعة من دراسة أساليب العمل بها على أصول علمية تبعدهم عن مجالات الارتجال ومدة الدراسة فى هذا المعهد ثلاثة أشهر ويعمل ثلاث دورات سنويا ٠

وبعد ٠٠ ففى خلال هذا المدى القصير ٠٠ وصلت الاذاعة الى هذه المرتبة المتقدمة ٠٠ وهذه المرحلة الهامة من مراحل تطورها ٠٠ نحو الصدارة ولا شك أن الجهود الثورية التى بذلت وتبذل لتحقيق هذا المستوى المشرف تضعها موضع التقدير والعرفان ٠

اما المواطنون الذين لمسوا هذا النشاط الهائل الذى وفر لهم وقتا طيبا من المتعة والتثقيف ٠٠ فانهم ولاشك يقدرون هذا التوجيه حق التقدير ٠٠ ويشجعون القائمين عليه بما يحفزهم الى المضى فى سبيل تحقيق رسالتهم ٠

« د ٠ محمد المعتصم سيد »

ثورتنا في الشعر المعاصر

بقلم عبد الرحمن البجادي

ظهرت الانطلاقة العربية الكبرى ممثلة في ثورة (٢٣ يوليو) التي انتشرت أضواؤها في العالم : في افريقيا ، وفي آسيا ، وفي أمريكا اللاتينية ، وأخذت شلالاتها تتدفق في مجالات شتى ، في مجال السياسة ، وفي مجال الاقتصاد ، وفي ميدان العلم ، وفي ميدان الفنون بعامة ، والأدب خاصة ، وأحدثت الثورة تغييرا كبيرا في المفاهيم الاجتماعية والقيم الحضارية ، كما خلقت جيلا جديدا من الكتاب والباحثين والمؤلفين ، وعملت على تعميق مجرى الثقافة العربية الاسلامية ، والحفاظ على مقومات الأمة وتراثها ، مما يشهد لها بالفخر والاكبار في صفحات التاريخ البيضاء .

واذا كانت الثورة قد اقتلعت جذور الطغيان ، وأحدثت دويا هائلا في الداخل والخارج بانتصاراتها الرائعة ، فانها عملت على ايجاد نهضة ثقافية شاملة ، فانشأت عددا كبيرا من المسارح والمجلات ودور الاذاعة .. ولكل منها رسالة خاصة ، واستطاعت أن تؤثر في الوجدان الأدبي ، فظهرت تيارات متباينة الا أن مناطها كان يتخذ طابعا ثوريا .. ثوريا على الماضي ومخلفاته المتآكلة ، وثوريا على الطبقية والانحراف الفكري ، وكانت رسالتها العمل على تذويب الفروق وتشجيع المؤلفين ، وتقدير المتفوقين في شتى الفنون والعلوم .

وان الباحث في التاريخ الأدبي المعاصر ليروعه هذا الحصاد الهائل من جيل الثورة الناهض ، ففي ميدان المسرح والقصة والشعر ظهرت طاقات خلاقة ، استمدت أفكارها من ينبوع الثورة ومعينها الخلاب ، وتحول تيار الأدب من اجترار أفكار بالية الى اعطاء أضواء جديدة ، يصعب على الباحث تقييمها في مقالات عديدة ، لتعدد اتجاهاتها وفنونها ، ولتأثرها بالتيارات الثورية العالمية .

وسنحاول هنا أن نلقي ضوءا على أثر ثورتنا في الشعر العربي المعاصر ، وموقف بعض شعراء العربية في مصر وغيرها من هذه الثورة والانضواء تحت لوائها ، وان كان هذا يحتاج - كما قلنا - الى دراسات ورسائل جامعية تضطلع بتقييم هذا الحصاد الثوري في مختلف مراحله وصوره .

لقد استطاعت الثورة أن تحمل على عاتقها مهمة تطهير الوطن من الدخلاء والأجانب ، ولكن كان عليها أن تحرر المواطن من استغلال فئة خاصة كانت تسير في ركاب المستعمر وهي طبقة الاقطاعيين والمستغلين ، فاصدرت قانون الاصلاح الزراعي الأول ، وحددت الملكية بمائتي فدان أولا في ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ثم كان لهذا أثر كبير عز الشعراء ، فنظموا القصائد في تمجيد الثورة والفلاح ، الذي حال استبعاده للأرض ومالكيها وللشاعر (**محمود حسن اسماعيل**) قصيدة طويلة بعنوان (الأرض) بداها قائلا :

بين ذل الثرى ، ودمع الحفاة
هبت الأرض من عميق السبات
نفخ الصور في رباها ، فقامت
تحصد الظلم في صدور **الطغاة**
ضرب الله ليلها بضحى البعث
فضجت قبورها بالحياة

وتحدث عن قصة الأرض التي تعذب أهلها والتي تشكو ولا من يرثي لها ، كما تحدث عن العابد الذي (يأتي بأفصح المعجزات) حينما يمس جبهة الأرض، وكيف كانت للظالمين فيها صولة ، حتى عادت الى أصحابها ..

قرع الحق بابه .. فاذا الظلم من الروع ذرة في فلاة
واذا الظالمون صرعى .. عليهم كفن الظلم شانه المخزيات
قرع الحق بابه .. فاذا الطاغون وهم على بقايا رفات
واذا قصة المواكب والأسياد تهوي ذليلة الكلمات ..

ولكن هذا القانون لم يعجب كبار الملاك والاقطاعيين ، وهذا أمر طبيعي ٠٠ فعلت صيحات تنكر هذه الخطوة الاصلاحية ، وهنا نقرأ للأستاذ « **علي الجندي** » قصيدة (دولة الاقطاع) التي قالها حينما تبرم كبار الملاك من أخذ أرضهم وفيها يوجه الحديث اليهم في عنف فيقول :

يابني « الطين » مالكم
قد عميتم عن الرشد
كلكم يحمل الجوى
بين جنبيه والكمد

ويبين لهم ان الأرض من حق زارعها الذي يقف عمره على العناية بها ، وليست من حق من ينام في مقاصيره ، أو ينفق أموالها فيما لا يرجى منه فائدة :

ليست الأرض أرض من
في مقاصرة رقد
منفقا ريعها على
ربة الدل والغيد
انما غلة الضياع لمن
جد واجتهد !
انها للذي سقى
غرسها والذي حصد !!

وبعد قضية الأرض تأتي قضية الجلاء الذي تحقق على يد رجال الثورة في عام ١٩٥٤ بعد أن ظل الاستعمار جاثما على أرض مصر أكثر من سبعين عاما وتسهم مصر مساهمة فعالة في المؤتمرات العالمية الكبرى ، وكان مؤتمر باندونج الذي عقد في ابريل سنة ١٩٥٥ واشتركت فيه ٢٩ دولة مستقلة من شعوب آسيا وافريقيا تضم أكثر من نصف سكان العالم ويسهم الشعر كذلك في تمجيد هذا العمل الانساني النبيل ، الذي علت فيه لأول مرة أصوات شعوب القارتين وهي تؤكد اصرارها وعزيمتها على السعي قدما الى الأمام ، والوقوف بين الكتلتين المتصارعتين في الشرق والغرب، وتبنت هذه الشعوب سياسة الحياد الايجابي ، والتعايش السلمي ، وعدم الانحياز ٠٠ ولكن سرعان مادبر الاستعمار مؤامراته وحاول أن يشل قوى مصر ويكيد لها ، فبدأ في انشاء أحلاف وقواعد عسكرية تحيط بمصر، وبدأت مصر تبحث عن تراثها وكنزها الضائع ٠٠ ولم يكد يأتي العيد الرابع للثورة حتى أعلنت تأميم القناة في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ فاهتز لهذا النبأ كثير من زعماء العالم واقطابه ٠٠ وكان للشعر دوره الفعال في هذه المعركة ويصور الشاعر **محمود غنيم** هذه الفرحة في قصيدته « تأميم القناة » فيقول :

حينما قال (جمال) : أممت
رقص الوادي وغنت ضفتاه
وسرت في كل عطف هزة
وتمشت بسمة فوق الشفاه
واظل النيل عيد شامل
فيه حيي كل مصري أخاه

وتمر الأيام والثورة تنتقل من نصر الى نصر ، ويبارك انتصاراتها الشعراء في مصر وغيرها من البلاد العربية ، حتى اذا ماجاء ٢٩ أكتوبر من نفس العام حدث العدوان الثلاثي ، وأفاض في الحديث عنه شعراء العربية وغيرها ، وفي مقال ـ دور الشعر في معركة بورسعيد ـ بالثقافة عدد ٧٧ صورة لموقف شعراء العروبة وغيرها من هذه المعركة التي خرج فيها الشعب ظافرا منتصرا يردد هذه الأغنية :

اني ملكت في يدي زمامي
وانتصر النور على الظلام
وغردت حمامة السلام
اني ملكت في يدي زمامي

وتتجه الثورة بكل قوتها نحو تدعيم الكيان العربي وتوحيده في جمهورية عربية متحدة شع سناها ، ومالبث الأعداء أن تربصوا بها الدوائر ؛ فحاولوا أن يقضوا عليها في المهد ، ولكنها كانت أقوى من المؤامرات والمتآمرين وجلجل صوت الشاعر السوري المعاصر **سليمان العيسى** قائلا :

ياليالي الضياع والقيد زولي
نحن باقون وحدة لن تزولا
وحدة تلهم الكواكب مسراها
وتمشي في القفر ظلا ظليلا
وحدة تفجر الينابيع في الكون
فراتا يسقي العطاش ونيلا
وتلم المعذبين بأرض موجة
لن تضل بعد السبيلا !!

وفي ٩ يناير سنة ١٩٦٠ أعلن بدء العمل في السد العالي الذي كانت معركة القناة معركة دامية من أجله ٠٠ وأخذ الشعر دوره في الاشادة بهذه المعجزة الكبرى التي حدت بالشاعر أن يقول :

قالوا العجائب سبع قلت : ويحكمو
ما هذه السبع الا سد أسوان

واسهم الشاعر (عزيز أباظة) بقصيدته

المشهورة عن السد التي تشدو بها (أم كلثوم) ، كما صور هذا الشاعر **علي محمد حمد** الذي فاز بجائزة المجمع اللغوي هذا العام عن ديوانه الأول .. وفي قصيدته (في مهرجان السد) يقول :

ايه أسوان أي فجر من العمران واليمن شع فوق الدرب؟
يابنة الشمس أي وعد مع التاريخ ناداك من وراء الغيوب؟

ويصور هذه الهمة والوثابة ، وتلك الانطلاقة الرائعة ، التي فجرت الجبال وقيدت النيل بعد أن ظل يهدد الأرض في موسم الفيضان ، ويصور مقدار مايجنيه الشعب من وراء هذا العمل الرائع فيقول :

وهدير الآلات يعصف بالصمت الذي من قديم رواقه
والنسور السمراء تحتل أكناف الروابي في وثبة وانطلاقه
فجروا السد في الجرانيت وشقوا في جوفها انفاقه
هيكلا للرخاء والسلم تبنيه على النيل قوة خلاقه

وتأتي القوانين الاشتراكية التي ترفع من شأن العامل والفلاح فيسهم الشعر بدوره كذلك في تمجيد هذه الأعمال الرائعة ، كما يبارك هذه الخطوات التي تعمل على توفير سبل الخير والرفاهية للشعب .. هذا بالاضافة الى تدعيم الصناعة وانشاء أكثر من ٨٠٠ مصنع في أنحاء الجمهورية كان له الأثر في القضاء على سيطرة الاستعمار والتحكم في اقتصادنا ، كما استطعنا أن نقضي كذلك على هذه الأسطورة القائلة بأن مصر لا تصلح الا كبلد زراعي فقط وقد أوجز الشاعر **صالح جودت** في (نشيد الثورة) الذي ألقاه في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد بالكويت سنة ١٩٥٨ .. أوجز ما جاء به فجر يوليو ، وما حققته الثورة ، فقال :

أيا فجر يوليو رعاك الاله
وبوركت في كتب الدعوة
صحونا على صيحة كالرعود
ونادى المؤذن بالثورة
فقمنا وثرنا مع الثائرين
على الظلم ، والبغي ، والرشوة

الى أن يقول بعد أن يشير الى ما حققته الثورة :

وكم وعدوني .. ولو لم يفوا
بالوعود لثرت على ثورتي !!

ولم تقتصر تأثيرات الثورة على الأدب العربي في مصر وحدها بل أثرت كذلك في البلدان العربية الاخرى ، ونحن نعلم مقدار ماأسهمت الجمهورية العربية المتحدة في الحركات التحررية في الجزائر وفي اليمن ، وفي ثورة العراق وغيرها من ثورات أفريقيا مما كان له صدى في أعمال الشعراء المعاصرين .

ولاننسى مقدار مابذلته الثورة من جهد تجاه قضية فلسطين ، هذه القضية التي مازالت رهينة البحث في المؤتمرات الدولية وفي الأمم المتحدة ، وقد أسهمت الثورة مساهمة فعالة في انشاء المنظمة الفلسطينية ، كما أنها طرحت القضية في مؤتمر القمة الاول والثاني ، ودعت الى انشاء قيادة عربية واحدة .. وبدأت في تحويل مجرى الاردن وضرب الحصار الاقتصادي على اسرائيل حتى يعود المشردون الى ديارهم ..

وفي ديوان (مع الغرباء) نجد الشاعر الفلسطيني **هارون هاشم رشيد** يغني لباعث الكيان الفلسطيني، يغني لناصر الشعب في قصيدة بعنوان «لهذا أغني .. لناصر شعبي» فيقول :

لهذا أغني لناصر شعبي
لباعث مجدي له انظم
لمن عند أهلي وشعبي وقومي
هو الفجر والنصر والبلسم
لمن حقق النصر في بور سعيد
وحطم أحلام من أجرموا
أغني له كل عمري أغني
واني به كلف مغرم !!

وهكذا استطاعت الثورة أن تؤثر في أدبنا العربي والتف حولها عدد كبير من الشعراء ، أسهم بقلمه في ارساء دعائمها ، وتمجيد انتصاراتها في الداخل والخارج ، واذا حاول الدارس أن يفتح ديوانا أو مجموعة من الشعر فكثيرا ماتصادفه قصائد تنبيء عن أن الثورة لم تكن منعزلة عن الشعب ، ولا عن ركاب العربية ، كما أن الشعب لم يتخل ابدا عن مساندة الثورة والانضواء تحت رعاية قائدها الملهم هذا الشعب الذي تغنى يقول : **كامل الشناوي على لسانه :**

أنا الشعب ، شعب العلا والنضال
أحب السلام ، أخوض القتال
ومني الحقيقة ، مني الخيال !!
وعندي الجمال ، وعندي «جمال»

وفيما قدمنا من نماذج ، شاهد على مقدار أثر ثورتنا في الشعر المعاصر ، هذه الثورة التي حققت في ثلاثة عشر عاما لم تحققه ثورات أخرى في أكثر من مائة عام ، ذلك لانها ثورة من الشعب والى الشعب .

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية
من زاوية قضية الأرض
بقلم: إسماعيل الصيفي

لقد كان «اغانى الكوخ» – اول داووين «محمود حسن اسماعيل» – من اكبر الاعمال الشعرية التى عالجت «قضية الارض» في الشعر العربى قبل الثورة بوعى وثورية . غير ان صدور ديوان يحتضن الفلاح ومشكلاته ، والكوخ واحلامه لا يكفى في مقام التدليل على وجود ظاهرة ، ولابد – بجانب ذلك – من ابراز هذه الحقيقة ، وهى اننا لا نكاد نعرف شاعرا عاش في العقدين السابقين على الثورة ، ولم يغمس يراعته في احزان الفلاح ، ويسطر بها قصيدة او ابياتا .

ليست هذه عدوى تفشت فى الشعراء ، ولا بدعة انتشرت بينهم ، ولكن اقتراب فجر الثورة فى تاريخ كل امة عظيمة لابد ان تسبقه نذره وبشائره ، انها بمنزلة الطرقات على باب التاريخ ، غير انها طرقات لا يعلم تأويلها ، الا بعد ان تحين الساعة – ساعة الصفر – فعندئذ ينكشف الغطاء ، ويدرك اناس كنه ماكانوا يجهلون .

يواكب «اغانى الكوخ» على الطريق الاشتراكى انتاج شعرى خالد ، لم يظفر باهتمام نقاد الادب ومؤرخيه بعد ، برغم ما يمتاز به من طرافة الموضوع وصدق التجربة ، وبساطة التناول ، ذلك هو انتاج الشاعر محمد السيد شحاته الذى اصدره فى جزءى ديوانه «بين احضان الطبيعة» ، فلقد وقف الشاعر اعماله فى هذين الجزءين على القرية ، بكل ما تحويه من زروع وترع ، وحيوانات وطيور ، واناس وفصول ..

ويلاحظ على شعر هذا الديوان ما يلاحظ على كل شعر خالد ، من انعكاس الحالة الوجدانية الخاصة بالشاعر والعامة للوطن .. على كل ما يصور ، انه ينظر الى الريف من خلال عدسة لونتها ذاته ومجتمعه بالقلق والاسى ، فهو يتحدث عن البطيخة – موضوع طريف – فتبكى كلماته حين يقول لنا :

نمت على الارض لم يصعد بها زمن
كان ايامها من نوع ايامى

ويحدثنا عن الغراب – موضوع طريف ايضا – فيقول له :

لم لا تشيب وانت اول رائى
اولى الدماء على ثرى الغبراء ؟

ثم يسأله في احساس عميق واع بفداحة الطبقية:

خاطب ضياع الاغنياء وقل لها
كم من ضياع فيك للفقراء

هذان البعدان – الذاتى والاجتماعى – للتجربة يخصبانها ويعمقانها ، ويجعلان طرافة الموضوع ترسم على الشفاة ابتسامة عذبة ، لا تلبث حتى تصبح ابتسامة معذبة .

والديوان – بعد – في حاجة الى توفر واحتشاد لا يتاحان لى الآن لعدم وجوده بين يدى ، وما دمت قد اردت لهذا المقال ان يبرز ما اعده ظاهرة وتيارا فى الشعر العربى ، واعنى «قضية الارض» . فان تعديد الامثلة هو ما يقتضيه المقام من مقال .

وها نحن اولاء نرى «العوضى الوكيل» في ديوانه «شفق» يصورلنا مأساة الفلاح فى حديثه عن «الريف المصرى» ، فبعد ان صور روعة الجمال الطبيعى فى الريف ، وقبل ان يعود الى تصوير هذه الروعة مرة اخرى يقول :

يا لهذا الفلاح تنكره الدنيا
ولكن فضله معروف

ان مضى الناس يجحدون مساعيه
تولى الدفاع عنه الرغيف

قانع بالذى يجىء من الرز
ق ، ولكنه ابى عيوف

ينبع الخير من اصابعه تلك
فيروى وهو الظمى اللهيف

سمن جهده سواه من النا
س ، ولكنه ضئيل نحيف

وهنا نقدم ملاحظة توشك ان تكون ظاهرة عامة فى الشعر الذى يعالج «قضية الارض» هى ان

تصوير حرمان الفلاح يقترن بتصوير روعة الاطار الطبيعي للحياة من حوله ، وقد تجلت هذه الظاهرة في ديوان «اغاني الكوخ» ، وكان شعراءنا قد هدتهم فطرهم الى أن ابعاد المأساة لا تكتمل الا بتصوير طبيعة الريف ، وبابراز ما فيه من جمال ، فالذى لا شك فيه ان هذا الاحساس بالتضاد بين الاطار الطبيعي وحالة الانسان الذى يعيش فيه من شأنه ان يعمق الشعور المأسوى لدى القارىء ، وأن يدل على رحابته لدى الشاعر ، ولا سيما اذا كان هذا الانسان البائس هو صانع ذلك الاطار الخلاب .

وننتقل من رصد هذا الاطار الطبيعي «للحياة» في الريف الى رصد الاطار الطبيعي «للموت» فيه ، وليس هذا من قبيل التداعي اللفظى بين الحياة والموت وانما هما زاويتان تعمقان احساسنا بالهوان الذى يبلغه الانسان في ذلك الاطار حيا وميتا .

يعود « الهمشرى» الى قريته الستبلاوين طامعا ان يموت هناك بين المروج العاطرة ، حيث يلتحف البنفسج ، وحيث تطالع عينه لآخر مرة صورة الروابى الخضر ، وتصافح سمعه — لآخر مرة — صدى خرير المياه وهو يسرى الى الموت ، فيقول في قصيدة « العودة » :

اموت قرير العين فيك منعما
يخدرنى نفح من المرج عاطر

ويلحفنى فيك البنفسج ، ولتكن
مسارح عينى الربا والمخاضر

وآخر ما اصغى اليه من الصدى
خريرك يفنى وهو للموت سائر

غير ان هذه «الميتة الشاعرية» لا تتاح للشاعر ، لان المرئيات والاصوات — تحت الاحساس القاصم بالفاقة — تبدو له دميمة شوهاء ، تملؤه رعبا ، فيحزنه الا يجد ذلك العزاء الشاعرى الخلاب ، فيصرخ مجهشا بالبكاء :

ولكن بلا جدوى اتيت فلم اجد
سوى قفرة اشباحها تتكاثر

وقد نسجت أيدى الشتاء سياجها
عليها ، واسوار الظلام تحاصر

وقد خرج الخفاش يهمس في الدجى
ودبت على الشط الهوام النوافر

وطارت من الجميز تصرخ بومة
على صوت هر في الدجى يتشاجر

وفى فترات ينبح الكلب عابسا
فيعوى له ذئب من الحقل خادر

اذن فيا لضيعة آمال الهمشرى ! ، ويا لفجيعته في عزائه الاخير ! لن يغمض عينيه حين يموت على صورة البنفسج والروابى الخضر ، بل سيطويهما — في فزع — على صور الاشباح والظلام والخفاش والهوام . ولن يكون آخر صدى يتردد في مسمعيه خرير المياه . بل سيكون صراخ بومة وصوت هر يتشاجر ، ونباح كلب وذئب خادر .

لقد سبق الهمشرى كثيرون تمنوا مثل هذه الميتة الشاعرية : فبعض شعراء الخمر تمنى ان يدفن الى ظل كرمة لتسكن روحه في قبره ، حبا منه للخمر حيا وميتا ، يقول ابو محجن الثقفى :

اذا مت فادفنى الى ظل كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى في الفلاة .. فاننى
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وتمنى الشاعر الخارجى «الطرماح بن حكيم» الا يموت على شرجع « سرير » ، وود لجثمانه هذا القبر العجيب :

فيا رب ان حانت وفاتى فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن قبرى بطن نسر مقيله
بجو السماء في نسور عواكف

ولكن اذا اتفقت هذه القبور في الطرافة ، وفي دلالتها على فناء الشاعر في شىء فانها تختلف — بعد ذلك — اختلافا عميقا : فالخارجى — بفنائه في العقيدة — تمنى أروع قبر يضم جسد شهيد ، تكريما وحبا للاستشهاد ، والثقفى — بفنائه في الخمر — تمنى ابهج رمس يوارى رفات مخمور ، تعلقا وهياما بالشراب ، والهمشرى — بفنائه في الطبيعة — تمنى اجمل جدث يحوى جثمان «رومانسى» ، تعبيرا عن هروبه من الواقع وسخطه عليه وامله في تغييره ، فالفروق بينهم هى الفروق بين فدائى وشريب ورومانسى .

وما اريد ان اقف لابرز وصف الهمشرى او غيره من شعراء العرب بالرومانسية ، فان لى في هذا رايا لا يتسع له المقام برغم ايجازه ، ولكن المهم ان الهمشرى عبر عن رفضه « للواقع » حين وضعه في مقابلة المتوقع فبدا : أو ابداه دميما ذميما ، ولقد استطاع ببراعة ان يحشد الصور المتآزرة التى تجلى «روعة» الاطار الطبيعى للقرية وهو عائد متفائل ، لم تجلى «ترويع» هذا الاطار حين صدم به وهو مقيم يائس .

هذه البراعة فى رصد الصور وسوقها فى تدبير محكم يبدو عفويا غير مقصود ـ تجعلنا ندهش للصورة التى يقدمها الهمشرى فى البيت الأخير ، من هذه الأبيات التى يهديها الى القمر فى ليالى الحصاد :

ليا ليك من ليلْ الفراديس ابهج
وقدرك ازهى في العيون وابلج

كانك عين الله ترعى عبادها
وتبصر ما تحوى القلوب فتخلج

كانك في روض السموات زهرة
كأن سناك (!) عطرها المتارج

كانك في خد السموات دمعة
همت من عيون باكيات ترجرج

فالصورفىالبيت الاخير آسية حزينة ، لا تساوق الجو البهيج السعيد الذى يتارج به السياق ، وان قبسة من النقد الادبى ، الذى يدعو الىتآزر الصور على صنع وحدة ، ترى ان الصورة الاخيرة مفسدة لهذه الوحدة . انها عثرة قلم . وان ضوءا من علم النفس قد يقول ان عثرات الاقلام كعثرات اللسان فى دلالتها على ما يستكن فى العقل الباطن من رغبات ومشاعر ، واذن فالاسى الذى رسبه الواقع الاليم في نفس الشاعر قد وجد له متنفسا ، فعبر عن نفسه في هذه الصورة الانفجارية ، التى بدت غريبة في ذلك السياق التصويرى .

وتتكرر الملاحظة حين تقرا فى ختام الابيات قول الهمشرى :

فيا بدر صبرا والليالى قصيرة
وسوف تقر النائبات فتثلج

اذ واضح ان القمر لا يصبر بقصر الليالى ، ففى زوال الليل انزال للقمر عن عرشه الذى يستوى عليه فى بهاء وتألق ، فهذه اذن عثرة قلم هى الاخرى ولكنها كسالفتها تكشف القناع عن نفسية الهمشرى التى اكتنفتها الظلمات، وارهقتها النوائب، فالشاعر ـ وليس القمر ـ فى حاجة الى هذا التبصير بقصر الليالى ، والى هذا التبشير بقرار النوائب .

وهكذا ـ مرة اخرى ـ نجد واقع القرية الاليم كان وراء قصد الشعراء حين يكوتبون عن وعى ، ووراء بعض عثراتهم حين تزل بهم الاقلام .

وفى ختام هذه الرحلة نقدم «لمحمود غنيم» قطعة بعنوان «الفلاح» ولا يعيب ابياتها انها فقط اربعة، فان مضمونها يجعلها بمنزلة رصاصات فى معركة لم تدر رحاها بعد ، فلقد حدد القدر ساعة الصفر بعد نشر هذه الابيات بعشرة اعوام :

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلق
على جبين امير سار مختالا

فقلت : ما انت ؟ قالت : انني عرق
منجبهة الزارع المسكين قد سالا

الناس تنعم ، والفلاح يحترق
وليس يحرز لا جاها ولا مالا

امتصه الناس حتى ما به رمق
كأنه صب للايثار تمثالا

على انى لا اعجب لنشر هذه الابيات اول عام ١٩٤٢م فهى ـ وان كانت حقا رصاصات ـ تختتم بزناد الامان : «كأنه صب للايثار تمثالا» . فتصوير كدح الفلاح واحتراقه من اجل ان ينعم باللآلى امير .. تصوير ذلك بانه ايثار من شانه أن يبرد النار فى جوف الرصاص ، ولكنها على أية حال شحنة : ادخرها القدر الى ميعاد .

« اسماعيل الصيفى »

حول الأدب في أسبوع

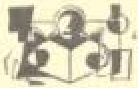
بقلم عبده بدوى

حول تثوير الأدب

يستطيع أى انسان أن يذكر حال الأدب فى الفترة التى كانت قبل الثورة ، فالأدب – فى تصورى – كان قد استحال الى نوع من الدهشة والشلل ومجافاة الحياة ، بعد أن كان قد توهج واهتزت البذور فى قلبه بعد ثورته عام ١٩١٩ ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، ذلك لأنه فى هذه الفترة كان قد أحس بالخطر الذى يتهدده من الخارج ، وبالخطر الذى يتجول فى أعماقه ، أو يلمس كتفه حين يسير أو يقف ، فبعد أن هدأ وميض السلاح، احس الأدباء أنهم يحاربون بنوع جديد من الأسلحة ، يعمل فى بطء على تفتيت الانسان من الداخل كما فتت من الخارج ، وقد أحس هؤلاء الأدباء أنهم يستندون الى جدار بعيد لا يريح ظهورهم ، بسبب عصور الضمور الفكرى التى كان يعيش فى ظلها ، والتى لم يصبح منها فى يديه شىء فكل شىء فى الحضارة العربية كان قد فقد بريقه ، واستحال الى ذكريات حائلة ، واصداء بعيدة ، وبالاضافة الى هذا فان العالم الجديد الذى اقبل به الفرنسيون من قبل ، ثم الانجليز ، قد هز نفوس الأدباء هزة كبيرة ، وجعلهم يشكون فى أشياء كثيرة تشكل حياتهم ٠

ولو أصبح أهل البلاد فوجدوا هؤلاء الفاتحين يسلمون اليهم ثمرة الحضارة الأوربية ، ويقفون معهم جنبا الى جنب لبناء المصانع ، والناس والأفكار – كما كان يفعل اسلافهم العرب من قبل – لهدأت نفوسهم بعض الشىء ، ولآمنوا بالانسان وما يمكن أن يؤديه دوره فى الحياة فى أى مكان على الأرض ٠٠ ولكنهم وجدوا هؤلاء الأجانب يعملون على فك « صواميل » هذه الأمة ، ويقفون حائلا بيننا وبين ماضيها وفى الوقت نفسه بين مستقبلها ، وأنها من هذا الموقف لا تستطيع أن تتحرك لأنها مغلولة من كافة جوانبها٠ ٠٠ وأمام هذا نرى كيف نبتت واحة أصيلة فى الصحراء تقول « كلمة مخالفة » للآراء التى اصبحت سائدة ، والتى تستند الى أشياء كثيرة ليس من بينها الاحساس بالظلم الواقع على الحقيقة فى ظل الاستعمار » ولقد قال هذه « **الكلمة المخالفة** » جيل الرواد الذى يقف على قمته العقاد ، والذى استطاع

أن يلفت القراء الى ماضيهم ، وأن يضع فى نفوسهم بذور الثقة ، وأن يبصرهم الى حقيقـــة الموقف من حولهم ، فهذا الجيل اذا كان يتميز بشىء فهـــو انه استطاع ان يسد الثقوب ، وان يرشـــد على الذين انهاروا ، وأن يلف أذرعته حول المعمار العربى ،وأن يكون عنده شىء من وضوح الرؤية بالنسبة لماضيه الذى يعبر ــ ظلما ــ به ٠



وقد أفلح هذا الجيل فى أن يرفع يد المستعمر ومؤيديه من حول عنق الانسان العربى ، وان يرغمه على ألا يتحدث ــ بثرثرة ــ فى شئونه الفكرية ،ومن هنا سقط شىء من التحدى الذى كان يحول الحياة الى توتر وقلق ٠

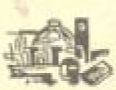
٠٠ ثم حدث أن شغل الناس بانفسهم بعد ان لعب المستعمرون من وراء الستار ، فقـــد كانوا من وراء الملكية ، والملكية كما يقول « مادبسون » من اكثر مصادر الفتنة شدة ، وكانوا من وراء الأحزاب التى لا تقوم على ايديولوجية واضـــحة ، ووراء الزعامات العتيقة التى كانت تبلى يوما بعد آخر ، ووراء ازدياد الفروق بين الطبقات ، ثم أخيرا وراء الفرقة الواضحة بين الشعب والحكام ، وقد أدى كل هذا الى فترة عميقة من الجدب الأدبى ، فقد انسحب البعض الى اجترار ذاته ، وغرق البعض فى دوامة الصراع ، وأدار البعض وجهه كله للتاريخ ، ويندر فى الفترة التى تسبق الثورة والتى تمثل الجيل الثانى من الكتاب ان يكون قد ظهر كتاب يبهر ، أو عمل يتحسس آلام الشعب، ويحسن الاصغاء الى ما يتردد فى قلبه ٠

وحين تزداد المحنة ويشـتد الظلام يهبط ضيف جديد على الحياة الادبية وهو « **الخوف** » ، فقد ظهر فساد عمليات الترقيع « بالاصلاح » ، واحس الناس بانهم فى حاجـــة الى شىء يغـــير أيامهم ، ويزلزل أعماقهم ، كما احسوا بانهم أصبحوا غير قادرين على التمييز بين ما هو صحيح وما هو خطأ

وكانت مصر فى حاجة الى ثورة تتفق وتاريخهـــا وظروفها وفى مقدمة ما كانت تحتاج اليه أن تكون ثورة بيضاء لا تهدر الماضى ، ولا تلقى بنفسها على صور ثورة أخرى ، ولا تنسى أنهـــا مســـئولة على طبيعة المنطقة العربيـــة فى أول الأمر ، ثم المنطقة الافريقية بعد ذلك ٠

ولقد كان وراء الثورة مصر بتاريخها ومشاكلها ، وظروفها الحضارية ، وطبيعة علاقاتها بالدول العربية والافريقية ٠

والذى نريد أن نخرج به من هنا هو ان الثـــورة حررت مصر من الخوف واذا كان الخوف كما يقول ــ هارولد لاسكى ــ هو أب الثورة ، فان الخوف فى الوقت نفسه يعطل امكانيات الأمة ، ويشل قدرة الابداع فيهـــا ، ويصرفهـــــا عن أن تنظر للعلاقات الاجتماعية وتركيباتها نظرة صحيحة ، وقد يجعـــل الانسان يحمل السلاح فى وجه أصدقائه كما فعـــل ستالين مع فنلندا ، ثم انه لا يســـاعد على خلق الأفكار الكبيرة ، ووجود الرجال المعمقين فى الحياة ، ويكفى أن نستعرض الاسماء التى حكمت مصر قبل الثورة ، والرجال الذين كانوا يدفعون الى الحكم دفعا لانهم من أسر أو لأن لهم صـــلات أو لانهم يملكون ما يدفعون ٠٠ لنرى اى لون من العقم كانت تعيش فى ظلاله مصر ، ولعل هــذهالفترة تقرب ما قيـــل من ان الرجال الذين حكموا الولايات المتحدة بين عامى ١٩٢٠ ، ١٩٣٢ كانوا من الرجال المحدودين فى كل شىء ، لأنهم كانوا ثمرة مرة لحرب عام ١٩١٤ التى كانت تقدم نوعا من الناس يرغب فى الهرب ،ويهرب من الدخول فى التجربة ، بل ان هذا الحال لا ينطبق على الولايات المتحـــدة فقط ولكنـــه يتعداه الى نوع الرجال الذى قدمته انجلترا وفرنسا للحـــكم قبل عام ١٩٣٩ ٠



وكان واضحا منذ قيام الثورة انه لا يمكن عبور الراســـمالية الى الاشـــتراكية الا على ظهر ثـــورة اجتماعية تقف من ورائها الدولة بثقلهـــا ، بحيث يصبح مرفوضا تماما الاصلاح الوقتى ، والترميم اليومى ، والتسيير الذى لا يقف من ورائه تخطيط واع منظم ٠

ان الجيل الثالث من الأدباء هو الذى عليه أن يمهد « ارض اللقاء » هذه ، والذى عليـــه الا يقلد الآباء والأجداد فى جهارة الصوت ، وشـــدة الغضب لأن هذين الجيلين السابقين كانا ملفوفين بأكثر من حصار،

وأنه لكي يحطم هذا الحصار كان لابد من رفع الصوت، وتشديد القبضة ، أما الجيل الثالث فقد وفر على نفسه الصراع مع الاستعمار ، ـ ومهما قيل في شدة المتناقضات لعلة أو لتقليد ما يقال ـ فان هذا الجيل الثالث يجب أن يضع نفسه في خدمة طمأنينة الانسان ، ومصالحته مع نفسه ومع مجتمعه ومع العالم ، ما دام في الظروف التي يعيشها المجتمع العربي الآن ، فهو يستطيع أن يكسب بالتسامح أكثر مما يكسب بالكراهية ، على أن يكون تسامحا ذكيا ومعروفة ابعاده ، حتى لا يكون كهذا التسامح الذى قال عنه نهرو انه هو الذى ضيع اسبانيا من العرب كما في كتابه لمحات من تاريخ العالم ، وليس معنى هذا أنا ندعو الى عدم التصادم في الأنظمة ، فالتصادم ضرورة اشتراكية كما يقول « ايفان كريبو » ولكنه التصادم الواعى الذى يعرف أوله وآخره والذى لا يقوم على الهوى ، والذى تعطى فيه الفرصة كاملة لكافة قوى الصراع ٠٠ وأخيرا٠ فنحن في ظروفنا الأخيرة ، وفي اشتباكنا مع العالم الذى أصبح ـ كما قيل ـ قريتنا ، وفي تلاحمنا مع العالم العربي في تسييج قدرى ، وفي ضرورة اشتباكنا اشتباكا عضويا مع حركة الجماهير لا بد أن نفكر من جديد بعقولنا ، ولا بد أن نرد الأسلحة المستعارة من الشرق أو الغرب ، ولا بد أن نضع أيدينا في البناء ـ والأدباء هم الأيدى غير المنظورة ـ الذى يعلوا على واقعنا ، وبحجارة من قيمنا ٠

اننا لو فعلنا هذا نكون قد عشنا على مستوى العصر ، ونكون قد فهمنا ظروفنا وتصرفنا في ضوئها، ونكون بحق أبناء شرعيين لثورة ٢٣ يوليو ، ونكون قد وصلنا بحق الى مرحلة تنوير الأدب ٠

« عبده بدوى »

ناصر العرب

للشاعرة اللبنانية

سلوى الحومانى

العرب كل العرب تهتف باسم ناصر وبذكره تشدو وتفتخر الحناجر
قد ثار ثورته الأبية منقذا ومضى لياخذ للعلا يد كل عاثر
حيا جميع الثائرين فكبروا وتسابق الأحرار منهم والحرائر
النصر في اسمك والجمال وفي القلو ب ولاؤنا ووفاؤنا ومن الضمائر
وجرى بواديك العظيم النصراء صارا يطيح بكل ظلام وجائر
وجهت قومك للكفاح وللعلا ونهضت بالفقراء تمشى للمفاخر
قد سطر التاريخ أعمال البطو لة للزعيم القائد البطل الثائر
هي قصة للثائرين على الفسا د وللأشاوسة الحماة وللمآثر
هي قصة من ثورة عربية بدأت بتموز وأمجاد الجزائر
النصر في بغداد في صنعا وسو ريا وفوق حمى العروبة سار ناصر
وبكل قطر ثورة منصورة وبكل شعب باسل قد ثار ثائر
انشودة الأبطال والمجد المظفر قد شدت بجمالها كل المنابر
يا ناصرا يا بسمة الأمل الكبير ر ومجدنا العربي يا باس الأكاسر
يا ناصر العرب الكرام وعزة ال احرار في آب وفي ماض وحاضر
مجد العروبة انت انت شعاره وبك انتصار العرب في الآفاق سائر

« سلوى الحومانى »

رسالة العلم

للدكتور عبد الحليم منتصر

ريادة الفضاء

لقد كان تحليق الاخوين « رايت » فى الفضاء بطائرتهما البدائية فى سنة ١٩٠٢ أول محاولة عملية لولوج اسباب السماء ، وارتياد اجواز الفضاء ، لم تسبقها فيما نعلم الا محاولة « عباس بن فرناس » ، الا ان محاولته لم يكتب لها النجاح ، الا بمقدار ما يثبت الباحث تجربة فاشلة ، ليدل على انه عرف الصواب بعد محاولة خاطئة .

ثم كانت محاولة الطيار « لندبرج » الناجحة فى سنة ١٩٢٧ ، حين قطع بطائرته المسافة من اوربا الى امريكا عبر الاطلنطى فى طائرته دون توقف .

وكانت الحرب العالمية الثانية ، فرصة موائية لاستباق الدول المتحاربة في سبيل تحسين وسائل الطيران وتبعيد مداه ، وظهرت الطائرات النفاثة، وعرفت الطائرات الجبارة التى تقطع آلاف الأميال دون توقف ، وتصعد فى الجو عشرات الالوف من الاقدام ، وعرفت الصواريخ المتعددة المراحل .

وكان الرابع من اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، تاريخا مجيدا ، وهو التاريخ الذى اطلقت فيه روسيا قمرها الصناعى الأول ، ومنذئذ تجوس الاقمار الصناعية ارجاء الفضاء العريض ، تستكشف حجبه ، وتجمع المعلومات ، وتسجل الرصدات وتأتينا بأنباء يقينية عما شهدته عدساتها ، وسجلته كمراتها وآلاتها واجهزتها الألكترونية .

وقد ظل القمر الروسى فى مداره حول الارض سبعة وخمسين يوما وبعد شهر واحد فى الثالث من نوفمبر سنة ١٩٥٧ أرسلت روسيا قمرا آخر به الكلبة لايكا .

ودخل « **يورى جاجارين** » التاريخ من أوسع ابوابه ، حين انطلق بسفينته فى الثانى عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ، بعد ان علا بها الى ارتفاع مئات الاميال وطاف حول الارض — وهو على هذا الارتفاع مرة حول الارض — واستغرقت الدورة نحو مائة وثمان دقائق . وكانما كان نجاح جاجارين الروسى في رحلته حول الارض وعودته سالما ، كانت حافزا لامريكا لتنطلق هى الاخرى فى هذا المجال ، حتى لا تسبقها روسيا فى مجال غزو الفضاء ، فارسلت امريكا برائدها الاول « الن شبرد » الا انه لم يمكث فى الفضاء أكثر من خمس عشرة دقيقة .

وفى الخامس والعشرين من مايو سنة ١٩٦١ ، اى بعد اقل من ستة اسابيع على نجاح رحلة جاجارين ، واقل من ثلاثة أسابيع على اطلاق اول امريكى الى الفضاء — اعتلى الرئيس الامريكى الراحل « كيندى » منصة الخطابة فى الكونجرس الامريكى ، ليعلن ان نجاح الانسان فى الهبوط على سطح القمر قبل سنة ١٩٧٠ يعتبر هدفا قوميا . ويقول « ما من برنامج فضائى يستطيع أن يكون أعظم اثارة للبشرية ، او أكثر اهمية لعملية ارتياد الفضاء الطويل المدى ، أو يعادله فى الصعوبات الواجب التغلب عليها او الانفاق السخى اللازم

لانجازها » ، وأيد الكونجرس الأمريكي برنامج الرئيس كيندى فى ارتياد الفضاء ، وعبأت الدولة امكانيات ضخمة لتحقيق هذا البرنامج ورصدت له مبلغ عشرين مليونا من الدولارات ، وحشدت له مائة الف شخص ما بين عالم وصانع دقيق . واذا عرفنا أن بحوث انتاج القنبلة الذرية قد كلفت امريكا وحدها بليونين من الدولارات ، قدرنا اهتمام امريكا بنجاح برنامجها الفضائى ورصدها له عشرة امثال ما رصدت للقنبلة الذرية .

وليس من اليسير ان نعرض لكل رحلات الفضاء التى قام بها كل من الروس والامريكان ، وغنى عن الذكر ان روسيا السوفيتيه والولايات المتحدة الامريكيه هما الدولتان الوحيدتان اللتان تستبقان فى هذا المجال ، وهما بالتالى الدولتان الوحيدتان اللتان تستطيع امكانياتهما الضخمه أن تحقق برامج فضائية معقوله تصلان بها الى القمر ، اقرب الاجرام السماوية الينا ثم الى المريخ اكثر الكواكب احتمالا لاقامة حياة عليه ، قد تكون مشابهة أو مغايرة لحياتنا على الارض . فمنذ رحلة جاجارين والرحلات تتعدد وتتنوع وتختلف سرعاتها ، وتتباين اغراضها ويزيد ركابها ويختلف مدارها وبالتالى تراكم المعلومات والنتائج التى تحصل عليها منها .

ولكن ماذا عسى أن تكون الاهداف القريبة او البعيدة لريادة الفضاء والهبوط على سطح القمر أو غيره من أقمار أو كواكب . ولعل القمر يكون أقرب هذه الاجرام السماوية الينا ، وان كان أبعدها احتمالا لوجود حياة به او امكان حياة عليه . اذ ان بعده عن سطح الارض لا يزيد على ٢٣٠٫٠٠٠ ميل ، فى حين ان الكواكب الأخرى تبعد ملايين الاميال .

من الخير أن نعترف بان أهم نتيجة لهذه الغزوات الموفقة والريادة الناجحة للفضاء ، انما تكمن فى الاضافة الى معارفنا عن هذه الطبقات العليا من الفضاء وعن هذه الاجرام السماوية التى تسبح فيه ، ولعلنا نصحح فى نفس الوقت كثيرا من الاخطاء أو المعلومات الشائهة التى تراكمت على طول الزمان ، نتيجة لارصاد غير دقيقة او استعمال أجهزة غير وافية بالغرض . وما أشك فى أنه قد تجمعت فى هذه السنوات القلائل التى لم تبلغ الخمس بعد منذ صعد جاجارين ، ولم تبلغ العشر منذ أطلق أول قمر صناعي ـ تجمعت أكداس من المعلومات العلمية الصحيحة ، التى لا تقدر بمال، والتى يتضاءل الى جانبها كل انفاق مهما يكن سخيا . فكل اضافة الى قدراتنا فى ارتياد الفضاء، انما يقابلها ركام من المعلومات الصحيحة عن الارض والقمر والكواكب المختلفة ، وعن امكانيات الحياة على سطوحها ، وعن الاشعاعات التى تخترق اجواز الفضاء ، وتنبعث وتنتشر هنا وهناك .

ولعل الفائدة القريبة التى امكن تحقيقها فعلا فى هذه الفترة القصيرة هى التحسينات الكثيرة التى ادخلت على الارصاد الجوية باستخدام الاقمار الصناعيه التى تطوف ارجاء الكون العريض ، تمسحه جيئة وذهوبا ، مرسلة مختلف البيانات لاسلكيا الى الارض فزادت امكانيات استعمال المذياع ، كما زادت امكانيات استعمال التلفاز ، عن طريق التلستار ، كما زادت امكانيات الملاحة البحريه والجوية دقة وامانا .

وقد استحدث ما لا يحصى من الاجهزة الدقيقة التى تستعمل فيما لا يحصى من الاغراض وذلك بدلا من الاجهزة الكبيرة الحجم او الثقيلة الوزن التى تضيق بها سفينة الفضاء ، وكثر استعمال الاجهزة الترانزستورية ، بدلا من الاجهزة العادية التى تكون عبئا على السفينة ، أو تشغل حيز يحتاج اليه المسافرون .

كذلك استخدمت اجهزة طبية تساعد على العناية بصحة المسافر عبر الفضاء وتبقى على اجهزته المختلفة تقوم بوظائفها على خير وجه رغم تباين الظروف والارتفاعات والضغوط والحرارة التى تتعرض لها سفينة الفضاء ، وابتدعت اجهزة وأدوات وأوان ، أملتها الحاجة الى استعمالها فى رحلات الفضاء ، وغدونا نسمع عن طب الفضاء وصناعات الفضاء ، وملابس وطعام رواد الفضاء، وغير ذلك من الأشياء الخاصة التى ماكان لنا أن نسمع بها لو لم تدع الحاجة الملحة الى ابتكارها لتؤدى هذه الاغراض الخاصة بالمسافرين عبر أجواز الفضاء ، بين أقماره وكواكبه .

ويخطىء من يظن أن رحلة الفضاء سهلة مأمونة وأن ريادة الفضاء انما هى مهمة يسيرة ، اذ الواقع انه ما تزال يعتورها كثير من المشاكل ويقابلها كثير من العقبات التى لابد من تذليلها قبل ان يتمكن العلم

من ارسال مركبة فضائية تحمل انسانا أو أناسى ، وتحط بهم على سطح القمر ، على أن يعودوا بعد الرحلة سالمين الى سطح الارض ، ليحدثونا بما رأوا وما سمعوا ، فليس من اليسير المحافظة على حياة الانسان عدة ايام في مثل هذه الظروف الفضائية العنيفة ، كانعدام الوزن ، وان الانسان ليعيش داخل غرفة مقفلة تسير بسرعة آلاف الاميال في الساعة ، وتمر في طبقات خلو من الهواء وخلو من الاكسجين ، أو عالية في درجة الحرارة وكيف يمكن توفير الهواء والماء والطعام والتخلص من الفضلات خلال أيام الرحلة التي قد تطول اشهرا اذا بعد الكوكب وشط المزار ، وماذا عن الوقود الذي يلزم لدفع هذه السفن الضخمة بهذه السرعة الفائقة لتصل الى الهدف المرسوم في الموعد المحدد ؟ وماذا عن هذه المركبة التي تمخر أجواز الفضاء ، وينبغي الا يزيد وزنها عن حد معلوم ، وأن تكون مادتها ذات قدرة على تحمل الضغوط التي تتعرض لها والحرارة المسرفة في الارتفاع التي تضطر الى المروق وسطها ،

وقوة الدفع الصاروخي الهائلة التي تتيح لها ان تندفع بالسرعة المطلوبة ، كيف تتحكم في سرعتها عند الصعود وعند الهبوط ، كيف تدخل من جو الى جو ومن فراغ الى فراغ ومن حرارة الى برودة ، ومن ضغط الى ضغط ، وكيف تزيد في سرعتها لتصل الى اكثر من سبعة عشر الف ميل في الساعة ، ثم كيف تطامن هذه السرعة عند الهبوط على سطح القمر ، او سطح الارض عند عودتها ـ كيف يتحكم ركاب السفينة في كل تلك الظروف والأحوال ، وكيف يتصرفون اذا طرأ على جهاز من الأجهزة العديدة خلل ما ؟ ٠

ومع ذلك ، فان الآمال معقودة على نجاح الخطط والبرامج التي تعدها كل من روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية لريادة الفضاء ، وان المعرفة الانسانية ليزداد رصيدها كثيرا جدا في السنوات الاخيرة بفضل هذا الاستباق بين الدولتين العالميتين القادرتين على الانفاق على بحوث الفضاء ٠

وقد صممت امريكا اول الامر برنامجا ضخما للبحث والدرس والتدريب ، كان هدفه اطلاق الاقمار والسفن الفضائية ، وكانت اول الامر خالية من الاشخاص او الكائنات الحية ، ثم حملت شخصا واحدا ، وكانت تطير اول الامر لمسافات محدودة ولزمن معين ، ثم تدور حول الأرض مرة ، ثم عدة مرات ٠ وقد استفيد من هذه البرامج المبدئية في اختبار قدرة الانسان على البقاء حيا في مثل هذه الظروف الفضائية ، ومعرفة كيف يستطيع الجسم ان يقوم بوظائفه دون ان يتأثر بالظروف التي تسود خارج السفينة ، والتي تستحيل فيها الحياة بالنسبة للكائن الحي ، وكيف يمكن الاتصال برائد الفضاء طوال رحلته وتوجيهه ان لزم التوجيه ٠

وان عرضا لما قام به رواد الفضاء خلال السنوات الخمس الاخيرة ليدل على مدى التقدم الذي احرزه علم الفضاء في هذه السنوات القلائل ، وانه لمبشر بتنفيذ البرنامج كاملا والوصول الى القمر قبل سنة ١٩٧٠ كما وعد الرئيس كنيدي ، ولعل الروس ان يكونوا اسبق في هذا المجال ٠

فقد قام يوري جاجارين الروسي في سفينته فوستوك (١) في الثاني عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ودار حول الارض دورة واحدة في ١٠٨ من الدقائق بسرعة تصل الى ١٧٤٠٠ ميل في الساعة٠ ثم كانت رحلة كل من شبرد وجريوم الامريكيين اللذين بقيا في الفضاء خمس عشرة دقيقة ، وكانت سرعة مركبتيهما نحو ٤٥٠٠ ميل في الساعة ٠

وفي السادس من اغسطس سنة ١٩٦١ ،صعد تيتوف الروسي في سفينته فوستوك (٢) ودار حول الارض سبع عشرة دورة وأمضى في الفضاء خمسا وعشرين ساعة وثماني عشرة دقيقة وكانت سرعة سفينته ١٧٧٥٠ ميلا في الساعة ، وقطع مسافة ٤٣٧٥٠٠ ميل أي ضعف المسافة بين الارض والقمر، أو مسافة تعادل الرحلة الى القمر ذهابا وايابا ٠

ثم تتابعت رحلتان للرائدين الامريكيين « جلين » و « كاربنتر » في فبراير ومايو سنة ١٩٦٢ حيث دار كل منهما ثلاث دورات حول الارض وأمضى في الفضاء نحو خمس ساعات ٠

ثم كانت رحلتا نيكولاييف وبوبوفتش في فوستوك (٣) وفوستوك (٤) في ١١ ، ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٢ على التوالي ، وقد دار الأول حول الارض ٦٤ دورة في احدى وسبعين ساعة ، وقد قطع الأول مليونا وستمائة وخمسة عشر ألف ميل ، على حين قطع الثاني مليونا ومائتين واثنين

واربعين الف ميـل · وبعد رحلتين أخريين لرائدين أمريكيين قفز الروس مرة أخرى في فوستوك (٥) وفوستوك (٦) ، وبلغت مدة البقاء في الفضاء نحو خمسة أيام وبلغت مسافة الرحلة نحو مليونين من الاميال ، وكذلك تعددت الرحلات وتنوعت ، وتعدد الاشخاص في السفينة الواحدة ، وشاركت المرأة في رحلات الريادة ، وتراكمت معلومات لا حصر لهـا واخذت صور لا تحصى ، وسجلت رصدات ، واخذت قراءات ، وزادت حـدة التصويب ، وتجلت الدقة الفائقة في الصعود ثم في الهبوط وتحسنت الوسائل التكنيكية ، واستطاع أهل الارض أن يروا انسانا يدور في قمرته حول الارض على ارتفاع قد يصل الى مائتي ميـل وبسرعة تزيد على سبعة عشر الف ميل في الساعة وانهم ليرونه رأى العين عن طريق التلستار كأنه بين ظهرانيهم ، بل ان موجهيه كانوا يعرفون نبضه وحرارته ويخاطبونه ، ويوجهون اليه النصح والارشاد ·

وبعد ، فان ريادة الفضاء ما تزال في مهدها ،ومع ذلك فان ما تحقق من نجاح حتى الآن في مجالهـا انما هو أدخـل في باب المعجزات ، وما أظنه دار بخلد الاخوين « رايت » في مطالع هذا القرن ، او خطر على ذهن هيرون العالم الاسكندرى منذ اكثر من الفين من السنين وهو يجرب صاروخه البدائي · نعم ماأظنه خطر بباله ان سيتحول صاروخه البدائي الى صاروخ متعدد المراحل يقذف بسفن الفضـاء ومراكبه لتنطلق بسرعة مذهلة ، لتدور حول الارض او تصوب نحو القمر او المريخ ، ولتحط عليه يوما بما تحمل من اناسى ، ثم يعودون سالمين الى سطح الارض ، ولعل هذا اليوم يكون قريبا ·

د · عبد الحليم منتصر

معرض أساتذة الرسم والأشغال

تقديم فاروق حافظ عمر





تحتفل الادارة العامة للفنون الجميلة ــ خلال شهر يوليو وبمناسبة اعياد الثورة المباركة باقامة عدة معارض للفنون التشكيلية ، ففى بورسعيد معرض للسد العالى ، وفي وكالة الغورى : معرض الجمعية الاهلية للفنون الجميلة ، وفي قاعة الفنون الجميلة بالقاهرة .. معرض رابطة اساتذة الرسم والاشغال ، وقد افتتح هذا المعرض الاخير الاستاذ الكبير ــ السيد يوسف ــ وزير التربية والتعليم قائلا : « يطيب لى وقد افتتحت المعرض الثالث عشر لاعمال أساتذة التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم وقد وجدت فيه تجديدا وتطورا ومجهودا يشكرون عليه فهو ترجمة صحيحة لاحاسيسهم مما يبشر بمستقبل كبير لهذه المادة مادة التربية الفنيــة فى المدارس ما دام هؤلاء الرواد يشرفون عليها وانى بهذه المناسبة اتمنى لهم ولابنائهم الطلبة دوام التوفيق في خدمة جمهوريتنا الحبيبة . »

والمعروف من هذا المعرض انه سنوى يقيمه اساتذة التربية الفنية لاستهداف امرين الاول : الاسهام في نشر الثقافة الفنية بين جميع افراد الشعب باعتبارها من مقومات الحياة الاشتراكية الديمقراطية .

والثانى : تنمية حساسيتهم الفنية عن طريق الممارسة لزيادة قدراتهم على ممارسة العمل الرسمى فى تربية الجيل الصاعد تربية فنية تستهدف صقل الخيال والابتكار وتنمية الذوق السليم والتعرف على التراث الفنى العربى والاعتزاز به .

والظاهرة الهامة فى هذا المعرض انه يستهدف تحقيق الفكرة الصحيحة عن العمل الفنى فليس هناك فن جميل بحت وفن تطبيقى بحت فيمكن أن تلتقى قطعة اثاث مستوى فنى رفيع لذلك تجد أن المعرض يشتمل على اتجاهات ونماذج فنية متعددة ــ فالى جانب اللوحات والتماثيل نجد اشغال المعادن وطباعة المنسوجات والاثاث والابليكات والتطبيقات بالقماش والخزف والحلى .. الى غير ذلك من الاتجاهات التى من شأنها أن تصحح المفهوم الشائع عن العمل الفنى . والى جانب ذلك يتميز المعرض في بروز شخصيات العارضين فليس هناك انحياز الى اسلوب معين من اساليب التعبير وانما المهم هو صدق التعبير واصالته وكذلك ايضا مايمكن أن تتبينه في المعرض الاهتمام بالموضوعات التى تمس واقعنا ونهضتنا الصناعية كما نرى فى تمثال «مصر ام السد» للفنان (طلعت طه سالم) الذى عبر فيها عن احتضان مصر لمشروع السد العالى فى شكل امرأة فرعونية تحتضن مبنى السد العالى .

وفى اعمال الفنان محمود النبوى الشال نراه يحاول احياء تراثنا القديم فى اعمال الزجاج المؤلف بالجص ــ الذى يكاد أن يندثر وذلك فى موضوعاته (بائعة الفاكهة ــ زفاف الزفة) وكذلك اعمال خرط الخشب (الارابيسك) التى كادت أن تنقرض ايضا ــ مع اضافات جديدة بجعلها متمشية مع احتياجات العصر الحديث .

فاروق حافظ عمر .

الكتب نقد وتعريف

بقلم : تحسين عبد الحي

كيف نجح عبد الناصر

تأليف : ر. ك. كارانجيا
تعريب وتعليق : خيري حماد



تحل غدا الذكرى الثالثة عشرة لقيام ثورتنا العربية الخالدة .. وتستقبل جماهيرنا ذكرى هذا العام وهي اشد ما تكون وعيا وارتباطا بثورتها العربية الاشتراكية تلك الثورة التي غيرت مجرى التاريخ العربي ودفعته انسانيا لكي يشارك في بناء عالم النصف الثاني من القرن العشرين . وتعرف جماهير شعبنا من المحيط الى الخليج أن ثورة يوليو المجيدة بقيادة مناضلنا العظيم جمال عبد الناصر ، هي أول حركة ثورية تحررية واشتراكية في التاريخ الانساني استطاعت أن ترتفع الى مستوى موقف امتها العربية عندما أعطت لنفسها مضمونا ، تقدميا سياسيا واجتماعيا ، رغم انبثاقها في البداية من داخل التشكيلات العسكرية فتخطت بوعي ومقدرة مزالق والمراءات الدكتاتوريات العسكرية والمساومة مع الاستعمار والقوى الاقطاعية والراسمالية لتلتحم التحاما عضويا بالجماهير العربية ، وتجسد ـ فكريا وعمليا ـ ارادتها في التحرر السياسي والاقتصادي الكاملين وفي بناء المجتمع الاشتراكي والديمقراطي ، ثم تجعل من قضية الوحدة العربية الشاملة محورا اساسيا لحركة الانسان العربي الفرد يناضل من اجلها نضالا يوميا مريرا ضد القوى الخارجية الضاغطة على أنفاسه والسالبة لمقدراته وضد القوى العميلة التي تتحرك وفق المخططات الاستعمارية الرامية الى تثبيت التجزئة واستمرار الاغتصاب لارضنا العربية في فلسطين .

ولقد كان وما زال مناضلنا جمال عبد الناصر هو المنبع الفعلي للمذهبية والعمل العربيين على المستوى الاقليمي والقومي والعالمي .. ومن ثم فان ارتباط كل منجزات شعبنا الاقتصادية والاجتماعية والوحدوية بشخص عبد الناصر هي في الأساس تعبير صحيح ومناسب لعمق ما يتمتع به كفرد من مواهب وقدرات ومزايا نضالية ذاتية .

ولقد تركزت في شخصية مناضلنا الثوري كل اسباب ومظاهر الحماية النفسية لدى مناضلي شعبنا في كل أجزاء وطننا العربي ـ بعد مرور مئات السنين من الضياع والتمزق النفسي والمعنوي ، وحيث كان كافيا لعقد معاهدة حماية او اغتصاب أن تمخر احدى بوارج الاستعمار الحربية أية مياه عربية اقليمية .. وذلك في استعراض وحشي لمظاهر القوة الغاشمة :

ولا نريد هنا أن نعدد مظاهر التأييد المادي والمعنوي لكل الحركات الثورية في وطننا العربي ـ وفي عالمنا الاسيوي الافريقي .. وكيف واجه مناضلنا

العظيم جمال عبد الناصر بثوريته المعهودة كثيرا من المواقف النضالية ٠٠ ولكننا نود في هذه المقدمة البسيطة أن نركز على موضوع هام يشكل في اعتقادنا محورا أساسيا لما يمكن أن نفكر فيه مستقبلا ٠

ففي وسط ضباب الأحداث المتزايدة والسريعة الحدوث بشكل فجائي أو غير فجائي على طول الجبهة العربية ـ والعالمية ٠ يحاول أولئك الذين يتربصون بوحدتنا الشاملة وسط ظلمة الأحداث أن يؤكدوا على شعوبيتهم المقيتة متخذين من بعض هذه الاحداث مبررات كافية للتدليل على صدق ما يقولون ٠٠ !! ولكننا هنا نؤمن بان اية احداث أو انحرافات أو خيانات تتم في الوقت الحاضر لتعوق مسيرة شعبنا الى الوحدة الشاملة في مضمونها التقدمي انما هي علامات صحة لا علامات مرض يتعسر علاجه ٠٠ **لان وحدة شعبنا العربي تستقر في ضميره الواعي بثوريتها المعهودة ٠٠ وكلما زاد الضغط المتآمر على ضمير امتنا الثوري فانه يكون مقدمة انفجار ثوري عارم يدعم قضية شعبنا ومطالبه العادلة ٠٠**

وتاريخ نضالنا القريب يؤكد على صحة مانقول٠٠ حيث اسفر الضغط الاستعماري الدموي في حرب السويس عن الوحدة بين مصر وسوريا ، وحيث استطاع ضغط الانفصال الرجعي أن يوقد ثورة شعبنا في اليمن والعراق ٠ ومن ثم فان كل دعوى اقليمية مهما كان مصدرها ـ هي فيالاساس تخريب متعمد لطاقات شعبنا النضالية ولضميره الوحدوي المتعاظم ٠٠

وكتاب اليوم ـ **كيف نجح عبد الناصر** ـ الذي كتبه الكاتب الهندي الكبير، ـكارنجيا ـ هو دراسة لافكار **مناضلنا العظيم الرئيس جمال عبد الناصر ،** وما انطوت عليه هذه الافكار من عمق في المذهب والعقيدة" ، وفلسفة قائمة على الدرس والاستقصاء والابتكار ، ودعوة الى أسمى الاتجاهات السياسية في التعايش السلمي وعدم الانحياز ، والايمان بالسلام العالمي ، وتصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية ، وتحقيق الاشتراكية طريقا مضمونا للحياة ، وسبيلا الى قيام مجتمع الكفاية والعدل ، والوصول باهداف الامة العربية الواحدة الى نهايتها الظافرة في الحرية والوحدة ٠

ولم تقتصر الدراسة التيقدمها المؤلفعلى الافكار والعقائد ، بل تعدتها الى الواقع والتطبيق والعمل ، وهو ـ على ما يبدو ـ ما رمى اليه كارنجيا من دراسته هذه بالفعل ٠٠ والمؤلف عندما يكتب عن الثورة وقائدها ، ومنجزاتها لا يصدر عن جهل و مجرد المام سطحي بموضوعه ، كما يفعل بعض لكتاب المغرضين من الاجانب ، وانما يصدر قبل كل شيء عن موضوعية ، وعن علم تام بحقائق الامور التي يكتب عنها ٠

***

وقد اهتم **كارنجيا** بالمشاكل والقضايا العربية وكتب فيها عدة مؤلفات كان أولها «الفجر العربي» الذي روى فيه الاحداث الخلاقة التي سبقت حرب السويس وتلتها على ضوء جذورها التاريخية ، وفي كتابه الثاني « فجر أم ظلام » تابع نفس الموضوع وتعرض فيه بالتحليل للعلاقات بين الدول العربية، ولماكانمن المستحيل تفهم طبيعة التركيب السياسي والعاطفي للثورة العربية دون معالجة الازمة الناجمة عن خلق اسرائيل ـ الجيب الغربي الاستعماري للصهيونية في الوطن العربي ، فقد اتبع المؤلف الكتابين الاول والثاني بكتاب ثالث ـ بعنوان«خنجر اسرائيل» الذي قدمته في العدد ١٠٥٧ من مجلة الرسالة ضمن مجموعة الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية بجوانبها المختلفة والتي زادت على العشرين كتابا في أعداد متوالية ٠٠ ويعتبر كتاب اليوم كيف نجح عبد الناصر استمرارا للثلاثية التي أسلفت الاشارة اليها ، واستمرارا لاهتمامات كرانجيا بتاريخ شعبنا المعاصر ٠

* * *

يقول المؤلف: «كان **عبد الناصر** ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، قد تحول الى جندي في معركة الحرية ، يبحث عن الرفاق ليبددوا معه أجواء اليأس التي وصفها بالبناء الضخم ذو الأبعاد المتناهية ، وراح وهو طالب ، أثناء بحثه عن أسلحة النصر ، يقود المظاهرات الجماهيرية بمنتهى الحماسة والروح الثورية ، مصطدما برجال الشرطة ،ومنضما الى الوفود التي تطالب بالاستقلال التام ، وباتحاد الزعماء السياسيين في جبهة وطنية واحدة ٠وادرك، حتى في تلك السن المبكرة ، ان الاستعمار هو العدو الأول للعرب ، وفي فلسطين ، وفي خنادق معاركها، تألفت ، تحت نيران الأسلحة المتفوقة التي كان الانجليز والأمريكيون قد زودوا الصهيونيين بها ، اول خلايا الضباط الأحرار ، حيث وضعوا هناك

-٥

وتحت وطأة الحصار ، الخطة لأداء واجبهم المقدس تجاه وطنهم ، ولم تكن تراودهم ، وتراود أولئك الذين بذلوا أرواحهم في ساحة القتال ، الا فكرة واحدة • وهى الثورة ، وكانت الكلمات الأخيرة التى صدرت عن **الشهيد أحمد عبد العزيز** هى أن ميدان الجهاد الاكبر هو فى مصر • ! وكانت جذور ثورة الثالث والعشرين من يوليو عميقة كل العمق فى تاريخ مصر ، ولم يكن ثمة من هو أكثر وعيا لهذه الحقيقة من **عبد الناصر** نفسه ، فلم يكن ماحدث اذن انقلابا أو تمردا ، وانما كان تحقيقا لامل كبير راود شعب مصر ، وقد بدأت ثورة **عبد الناصر** على أسس كانت الثورات السابقة قد خلقتها فى أرض مصر ، كما كانت بمثابة الاشارة الواضحة الى علامة الخطر التى تركتها عيوب الثورات السابقة وأخطاؤها • ولم يكد الشعب يهلل للثورة ، مبتهجا بمقدمها ، حتى كان عبد الناصر يعلن للشعب :

« لكل شعب من شعوب الارض ثورتان ، ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه ، وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد » •

❋ ❋ ❋

ولم تكد تمضى على نجاح الثورة بضعة أسابيع حتى كان مجلس قيادتها يصدر القانون رقم ١٧٨ لعام ١٩٥٢ ، لمعالجة موضوع الملكية الزراعية ، وخرج الى الوجود قانون الاصلاح الزراعى والذى عدل بعد ذلك عدة مرات • واستمرت عملية اعادة الأرض الى أصحابها الشرعيين من الفلاحين بسرعة متزايدة طيلة عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ولم تؤدى السحب المتجمعة للعاصفة القادمة من العدوان الاستعمارى الى الابطاء فى عملية تنفيذ الاصلاح الزراعى • ولا ريب فى أن الاعتزاز الجديد بالكرامة الذى أحس به فلاح مصر بعد الاعتراف بحقه وبدوره فى الحياة القومية ، قد بعث تيارا منعشا من الهواء الطلق ، فى الدهاليز المظلمة والمرعبة فى حياة المجتمع الريفى فى مصر ولقد بات الفلاح ـ بعد أن أحس باسهامه فى حياة بلاده ـ جنديا مخلصا من جنود الوطن ، والحارس الأمين لثورته •وأصبح الاصلاح الزراعى قلب الثورة الشعبية وروحها ، بل وقوتها الحركية الدافعة • وقد عنى تعبيرالاصلاح الزراعى أكثر من مجرد توزيع الأرض ، فقد كان التعبير أكثر شمولا ، حيث يعتبر تجديدا شاملا كاملا فى البنيان الزراعى • بما فى ذلك من انشاء للجمعيات التعاونية ، وتوسيع الرقعة الزراعية ، حيث غدتمعركة الانسان مع قوىالطبيعة ـمجسدة فى استصلاح أراضى الوادى والصحراء •

وقد أعلن الرئيس **عبد الناصر** الشروع فى تنفيذ مشروع الوادى الجديد فى عام١٩٥٨، وراح الرئيس بصوته الهادئ الواثق والآسر لعواطف الجماهير ، يبلغ شعبه أن من الواجب شن الحرب على الصحراء للفوز بثلاثة ملايين فدان منها •

ولم يمض شهر واحد على اعادة الأرض الى أصحابها من الفلاحين الفقراء الذين كان الاقطاع قد سلبهم اياها ، حتى كان الحلم القديم باقامة السد العالى فى أسوان قد أصبح الهدف الأساسى للحمة الثورة البطولية ، وأعلن **عبد الناصر** فى أكتوبر عام ١٩٥٢ ، أى بعد اربعة أسابيع فقط من اعلان قانون الاصلاح الزراعى، تصميم مجلس قيادة الثورة على تحقيق مشروع السد العالى وبنائه • وكانت صورة السد العالى تلهب خيال الفلاحين المتعطشين الى الأرض والماء عبر القرون ، وتمنيهم بفردوس من القوة والوفرة والخير • واذا كان هذا المشروع الثورى ، وما يقوم وراءه من مبادرة بطولية باسلة ، قد خلق كل ماوقع من انتصارات ومآس،فانه حمل فى الوقتنفسه الجزاء **لعبدالناصر**، بل للوطن العربى بأسره ، وعندما ينتهى العمل فى هذا المشروع العظيم • فان انتهاءه لابد وأن يزود هذا البنيان الذى لم يكتمل بعد ، بالمحتوى الصلب لبناء الوحدة العربية الشاملة •

وقد عنى اعلان مشروع السد العالى للثورة فى عام ١٩٥٢ ثلاثة انجازات ضخمة وهامة : أولها - أن الثورة تحمل أملا اقتصاديا عظيما وضخما لوجود الشعب ، ورفع مستوى معيشته ٠٠ وثانيهما أن للثورة محتواها الاجتماعى الخاص بها ، بالنسبة الى أن المشروع لن ينفذ الا ضمن القطاع الاشتراكى للانتاج القومى ٠ وآخر الانجازات الثلاثة ، أن المشروع يحمل فى طياته تحقيق حلم قومى ، لا لشعب مصر وحده ، بل للشعب العربى كله فى جميع ربوع وطنه ٠

* * *

ثم يقول المؤلف بعد ذلك : « لقد غدت الجمهورية العربية المتحدة فى غضون ثلاث سنوات أكثر بلدان أفريقيا تصنيعا ، تحت اشراف قطاع عام قوى وشامل ، يسيطر على جميع فروع الصناعة وأعمال المصارف والتأميم والتجارة الخارجية. فتقوم المصانع المؤممة - نتيجة لاصرار الجمهورية العربية المتحدة على الاكتفاء الذاتى ، وانتاج كل شىء - بانتاج كل ماتحتاج اليه من المواد الطبية ، والادوية ووسائل التجميل ، والاسمنت ، والمنسوجات ، والمنتجات البترولية ، وأجهزة التلفزيون والسيارات والشاحنات ، وعربات السكك الحديدية والقاطرات والطائرات النفاثةوالاسلحة الصاروخية والصواريخ ولقد أتمت مصانع ناصر للطائرات النفاثة صنع أقوى طائرات تفوق سرعتها ضعفى سرعة الصوت ٠

* * *

وكانت التجارب والاختبارات الاشتراكية التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة قد توصلت قبل عام ١٩٦٢ الى شىء يشبه التعريف للاشتراكية العربية ، وهو ما عناه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى قدم فيه الميثاق الوطنى ، فلقد تبين أن على الدولة أن تلعب الدور الاكبر فى الاقتصاد الوطنى وأن من الضرورى تأميم الصناعات الثقيلة وجميع الخدمات الاساسية ، وعلى الرغم من أنه أبقى على خمسة وسبعين فى المائة من التجارة الداخلية للقطاع الخاص فان القطاع العام - ولا سيما عن طريق التعاونيات - هو الذى يتولى وضع المعايير لهذه التجارة ، فأصبحت المصارف وشركات التأميم جزءا من القطاع العام ، وأعلن الدستور المؤقت عام ١٩٦٤ الاهداف السياسية العامة للاشتراكية العربية وهى اقامة الاشتراكية كهدف شامل ، كما أعلن قيام الملكية القومية العامة فى الجمهورية العربية المتحدة وأعلن الدستور أن الدولة تقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ، وقد كشف هذا الاعلان عن جوهر الاشتراكية العربية ولبابها ، حيث أنها ليست وسطا بين الرأسمالية والاشتراكية ، كما بدد الشكوك فى الدور الصحيح للشعب العامل وفلاحيه فى هذا البنيان ، وكان لابد من صهر فئات الشعب العاملة فى بوتقة واحدة عن طريق تأليف الاتحاد الاشتراكى العربى، وقد عنى قيام الاتحادالاشتراكى العربى أكثر من مجرد قيام حزب سياسى ، فهو فى الواقع التنظيم السياسى الشعبى الذى ينظم قوى الشعب العاملة والذى يتمثل فيه تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية ٠

* * *

ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن دور الرئيس جمال عبد الناصر فى الدعوة الى القومية العربية والوحدة العربية فيقول : «لقد ولدت ثورة عبد الناصر نتيجة الاعتقاد بأن عليها أن تؤدى دورا حيويا وحاسما فى تحقيق حلم العرب القديم فى وحدتهم فى ظل دولة عربية متحدة وقوية ، وقد رسم عبد الناصر الخطوط الاساسية العريضة لخطةالجبهة العربية الواحدة فور نجاحه فى ثورته ، وكانت المهمة الاولى ، على ضوء هذه الخطة المقررة ، هى حمل الامة العربية على أن تعى قوتها ، ولم تكن هذه القوة كما قال عبد الناصر « فى أن تصرخ بصوت عال ، وانما فى أن تتصرف ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها » ٠

وعن مصادر القوة العربية يقول المؤلف : انها مصادر ثلاثة ، فهى الترابط المهم بين السكان فى المنطقة العربية ، وسعيهم الدائم لبناء عالم مستقر يسوده السلام ، والوضع الجغرافى ذو الاهمية التجارية والاستراتيجية للوطن العربى ، ووفرة الزيت العربى وأهميته الحتمية ، التى تجعل الامة العربية عنصرا مهما من عناصر الانسانية ، وهذه القوة لاتستمد - كما قال الرئيس عبد الناصر - « من علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، وانما تتحقق عن طريق العوامل المتداخلة للحقائق الوضعية عندما تستقل عن سيطرة الدول الأخرى ٠

وشرح المؤلف بعد ذلك دور حزب البعثيين الانتهازى وخيانتهم لقضية الوحدة العربية فقال

كانت خيانة البعثيين للوحدة وخروجهم عليها لاستفزاز الاكبر لثورة عبد الناصر ، وكانت مؤامرتهم مسوغا شرعيا وكافيا لقيام عمل عسكري من جانب الثورة ، ولكن عبد الناصر أظهر درجة مثالية رائعة من النضج السياسى ، أحبطت هدف المؤامرة الاستفزازية ، ولم يبعث بأية قوات الى سوريا لكى تعيدها الى حظيرة الوحدة ، فقد كان ألمه أقوى من غضبه ، ووقفت مبادىء عبد الناصر لعبد الكريم قاسم ولعهد شمعون الرجعى فى لبنان بالمرصاد وبعد قيام ثورتى سوريا والعراق ووصول البعثيين الى الحكم هناك ، كشفوا عن طبيعتهم الانتهازية ، ففى سوريا تحالف البعثيون مع المصالح الاجنبية، فى حين دب الخلاف بين صفوفهم فى العراق، ونشأ الصراع بين جماعة «طالب حسين شبيب» وجماعة «على صالح السعدى» وأدى ذلك الى معرفة طبيعة الحزب الانتهازية . فقد اتهم السعدى شبيبا بالعمالة للامريكيين منذ أمد طويل فى الوقت الذى كشف فيه شبيب عن ارتباطات السعدى العريقة بالمخابرات البريطانية ، ومن ثم طردهم الرئيس عبد السلام عارف وطهر العراق منهم ، وينتهى المؤلف بعد دراسة مطولة لأوضاع العالم العربى الى القول :

« ولا ريب فى أن ما تميزت به ثورة عبد الناصر من حيوية وديناميكية ، قد أقامت الدليل الذى لايتطرق اليه الشك – فى ميدان الصراع من أجل وحدة الامة العربية ، وفى غيره من الميادين الاخرى – على أن اخلاصها فى الهدف ، وتصميمها فى العمل ، يحولان حياة الامة العربية الآن تحويلا كاملا ويقربان اليوم الذى يتحقق فيه الحلم الذى طالما راود العرب منذ خمسة قرون حتى يومنا هذا ».

* * *

ويستمر الكتاب بعد ذلك فى شرح وتحليل الدور القيادى الذى قام به الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج وفى المشاكل العالمية الراهنة ، مثل نزع السلاح ، واقامة التوازن الاقتصادى فى العالم ، ومحاربة الاستعمار ، وتأييده لكل قضايا الحرية فى العالم وخاصة بين شعوب آسيا وافريقيا وينهى المؤلف كتابه بقوله :

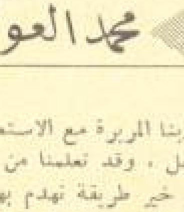
« هناك قلة من الناس فى تاريخ العالم ، أدوا **أدوارا حاسمة، وتركوا آثارا بالغة الأهمية والخطورة فى تحويل مجرى التاريخ الانسانى ، وسيظل اسم جمال عبد الناصر ، فى طليعة هؤلاء الناس ، مشرقا وضاء ».**

« تحسين عبد الحى »

أغنية للنصر والسلام

للشاعر : يسرى الفيل

النصر يهتف .. والزمان يرجع
قصصا ، حكاها لليالى مدفع
قصص البطولة ، يوم أرقت اللظى
فى كفها ما اختل منها اصبع
نسجت من الاصرار صلب دروعها
ومضت ، الى من بالظلام تلفعوا
لم يدركوا يوما نهاية غدرهم
لو كان .. مالبسوا الظلام واسرعوا
لو أدركوا ان هم على أشلائنا
مروا .. فان الارض ليست تخضع
يا ويلهم .. جهلوا حقيقة أمسهم
وكثيرهم بقليلنا يتصدع
جهلوا .. وهم يتوعدون كنانتى
ناسين أن كنانتى لا تجزع
فلينطلق البارود .. ان حديثه
فى «بورسعيد» لهم أجل وأنفع
نطق اللهيب ، وراح يحصد جمعهم
وبكل ناحية تكلم مدفع
ان ينصر الله الذين على هدى
صنعوا مصيرهم .. فلن يتضعضعوا
نصر الاله كنانتى .. وعلى المدى
نصر السماء لنا أعز وأمنع
يابورسعيد وأنت صامدة الخطى
والنصر أنى سرت خلفك يتبع
قول وقد حشدوا الحشود واقبلوا
نحو الديار كتائبا تتفزع
والليل مرتاع الجوانح ، يحتمى
بك .. والسلام على تراك مروع
ايماننا بالله ثبت خطونا
وبه نخوض النار ، لانتزعزع
وبه « صلاح الدين» حطم امسهم
واليوم .. فى « حطين » اخرى نطمع
لنعيد أبناء الضياع لارضهم
فالعار كل العار ان لم يرجعوا
هى وثبة « يا بورسعيد » تعيدهم
وتعيد وادى النور نور يسطع
ان بعثرت فوق الدروب حياتنا
لا لن تضيع .. فانها بك تصنع



قراءات في المجلات العربية

يقدمها **محمد العوانى**

مع عيد الثورة

تستقبل الجمهورية العربية المتحدة عاما جديدا من اعوام ثورتها الرائدة ، فمنذ ثلاث عشرة سنة قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس «جمال عبد الناصر» واذا كانت هذه الفترة تعد قصيرة بالنسبة الى عمر الشعوب ، الا أنها كانت بالنسبة الى عمر ثورتنا حافلة باعمال كبيرة ، ومنجزات ضخمة . ذلك ان هذه الانتفاضة الثورية الذى حدثت بزعامة عبد الناصر ، قد غيرت وجه الحياة ، وقضت على طغيان ملك يسنده المستعمر ، ودكت حصون الاقطاع ، واقتلعت الرجعية من جذورها. لقد تقدم عبد الناصر باسم الملايين من ابناء هذا الشعب ليخلص المجتمع من الفساد والاقطاع وسيطرة راس المال ، ووسط الاشواك والصخور خاض عبد الناصر المعارك ، وتحقق له النصر باسم امة سعت عمرها الى مصير يتفق ومالها من مجد تليد .

لقد تمكن الشعب فى عهد ثورة يوليو المجيدة أن يعيش حياة ديمقراطية سليمة على أساس من الكفاية والعدل والحرية والوحدة الوطنية وفقا لمبدأ اشتراكى تعاونى يتفق مع حاجاته وتاريخه ، ولم يكن هذا المبدأ الذى نسير على نهجه مقلدا ولا مستوردا ، ولكنه مستوحى من ضميرنا ومن واقع بيئتنا ، ومن تجاربنا المريرة مع الاستعمار والاقطاع وراس المال المستغل ، وقد تعلمنا من هذه التجارب التى خضناها ان خير طريقة تهدم بها كل اعدائنا هى أن نقوم ببناء أنفسنا ، وان نطلع العالم على الأسلوب الذى نبنى به حياتنا . على أن مما يزيدنا ثقة بانفسنا هو اننا نرى العالم كله يتابع باهتمام منجزاتنا ، فقد حرصت الدول المتقدمة على أن تتابع هذه المنجزات ، كما حرصت الدول النامية على ان تقتفى خطانا نحو اهدافنا البعيدة المدى، ولا شك أن هذه الانتصارات تدل على مدى نجاح ثورتنا التى صارت حديثا فى فم الزمن منذ أن قامت فى يوليو ١٩٥٢ .

يقول الاستاذ « **محمود تيمور** » فى افتتاحية عدد يوليو من مجلة « **القصة** » أن « الطور الراهن من اطوار الثورة تتجلى سماته ، فيما اعتزمنا من اقتحام ميدان الصناعات الثقيلة ، لكى توافينا بالقسط الوافى من قدرة الانتاج ، وذلك لتعزيز الديمقراطية الاصيلة ، وتحقيق التحول الاشتراكى الصميم ..

وهذا الطور الدقيق من حياتنا الثورية لا يقتضينا مجرد الترحيب به ، والمسايرة له ، بل يطالبنا بان نعد له عدة وافرة من التجلد والاحتمال ومن الايمان بقول حكيم الشعراء « أبى الطيب »

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال الا على جسر من التعب

ومضى يقول :
لنا ان نتفاءل بمستقبل هذا الطور الجديد ، تفاؤل باننا ملاقون فيه من الانتصار ما لاقينا في اطوارنا الثورية السابقة من انتصارات باهرة. وفي قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، وفيما توافر له من خصائص الزعامة الواعية القادرة ، وفيما يواتيه من توفيق – ما يملأ نفوسنا ثقة وأمنا ، وما يحفزنا على أن نكون منه كما ناشدنا أن نكون حين قال .

« اريدكم جميعا – وبغير استثناء – معى ، احتاج فكركم مع فكرى ، وضمائركم مع ضميرى ، وايديكم مع يدى »

ثم ختم كلمته بقوله :
في هذا اليوم الذى نحتفل فيه بالحدث العظيم ، حدث ٢٣ يوليو ، نناجى وطننا بما ناجاه به بطل الثورة في قوله :
« يا وطن الحرية والاحرار ، سلمت دائما ، واظلتك الى الأبد رايات العزة والعدل والتقدم »

وقدمت « المجلة » كلمة عن «مرحلة الانطلاق» كتبها الاستاذ « يحيى حقى » موضحا فيها أن مرحلة التحول لم تقم بدورها الا لانها جاءت في أعقاب ماض قريب وبعيد ، كان يشق لها السبيل، ماض قريب يتمثل كما يقول « في انتصارات ثورة ٢٣ يوليو التى لم تبق حلما من أحلامنا المؤرقة الا حققته : التخلص من نظام حكم عتيق فاسد ، عد نفسه قوة منفصلة يجوز لها أن توازن قوة الشعب وتعارضها ان شاءت .. وكان تاريخ مصر السياسى في تلك الفترة اشبه شيء بمباراة بين قوى ثلاث ؟ العرش والشعب والاحتلال .. ثم اعتناق للنظام الجمهورى الذى يدل اسمه على انتقال الحكم الى يد الشعب ، اجلاء الجيش الاجنبى عن ارض الوطن ، الذى كان وصمة شن لها الامة ، وقيدا يحد من حريتها واستقلالها ، رغم نص المعاهدات والدساتير بأن مصر دولة حرة مستقلة .. الاقدام بجرأة على تنفيذ السد العالى .. تأميم شركة قناة السويس .. انتصار الأمة في معركة بورسعيد هو درس للاستعمار والعدوان بأن عهدهما قد انقضى .. تمصير جميع الممتلكات الاجنبية ، تمكينا لرأس مال وطنى يوجه اقتصاد البلاد لصالحه وحده .

على أنه تناول الانتصارات السياسية فاوضح ما صارت اليه مصر من ارتفاع سمعتها في المجال الدولى الى مكانة مرموقة لمساندتها لحركات التحرر اينما كانت .. دفاعها عن المثل العليا في السياسة الدولية وجه آخر لدفاعها عن مصلحتها الذاتية مطابقة تضفى على دولتنا الصغيرة شرفا قلما عرفته الدول الكبرى التى تهدر هذه المثل العليا احيانا من اجل مصلحتها الذاتية .

ثم وضح أن التحول الاشتراكى هو أنجح الطرق وأسرعها الى تحقيق العدالة الاجتماعية انه « نظام غير مقتبس من الغير ، بل مستمد من طبيعة الشعب ، يهتم بالحلول العملية للمشكلات القائمة، لا بالجدل النظرى »

وفي نفس هذه المجلة مقال كتبه «عثمان عسل» عن الاتجاه الانسانى لسياستنا الخارجية » قال فيه ان « أشرف رسالة تعكس انسانية هذا الشعب . هى كفاحه من اجل تحرير الشعوب التى جعلت من القاهرة المركز الرئيسى لحركات التحرير الوطنى في العالم وقبلة الاحرار من كل صوب وحدب وأقوى قاعدة للحرب ضد الاستعمار فهو لا يتردد في مساندة الشعوب المغلوبة على أمرها ماديا ومعنويا ..

وتؤمن القاهرة ايمانا جازما بأن قضية الحرية لا تتجزأ وانها « لا تتدخل كما تفعل الدول العظمى لفرض نظام معين أو عقيدة معينة أو لأطماع توسعية ، ثم هى تكتسب على الرغم من الدعايات المضادة – ثقة الأحرار والشعوب المناضلة »
أننا اذ نستقبل بعد ايام مطلع العام الرابع عشر لثورة شعبنا المجيدة – نؤمن ايمانا تاما بانها سوف تستمر بثوريتها في معالجة ومواجهة قضايا أمتنا المصرية ، في الحرية والاشتراكية والوحدة .. بقيادة رئيسنا المفدى الرئيس جمال عبد الناصر .

« محمد العوانى »

هتـاف الثـوار

قصة

للكاتب الانجليزي : كلودهونسون
ترجمة وتلخيص : عبد الواحد الامبابي

كان السكون الصامت يخيم على الحي الشعبي الذي يقع في الطرف الشرقي من مدينة « ستراسبورج » . وكان ظلام هذه الساعة المتأخرة من الليل يلف المنازل القديمة الكالحة فتبدو – اشبه بقبور مهجورة خرساء – لولا بصيص الضوء الخافت الذي ينبعث من خلف نوافذها .

وفي حجرة متواضعة منفردة فوق سطح احد منازل هذا الحي كان الضابط الشاب المغمور « روجيه دي ليل » ينطق اوتار معزفه الجامد باصوات الجماهير الثائرة في فرنسا . ولو قدر لهذا الشاب الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره ان يخترق ببصره حجب الغيب لأدرك ان هذا اللحن الذي ولد في احدى ليالي عام ١٧٩١ داخل حجرته الحقيرة سيطوف يوما ما كل احياء اوربا ليزلزل قواعد النظام الملكي في فرنسا وسيعرف باسم « لامارسييز » ... النشيد الذي اصبح رمزا للاحرار والثوار في كل مكان .

كانت مدينة باريس في تلك الاثناء تغلي كمرجل يضطرم من تحته شواظ نيران عاتية مستمرة . فالأعداء يتفقون على الحدود والحقد والرغبة في الانتقام والشعور بالضياع تملأ قلوب الجماهير الجائعة . ودماء الضحايا والأبرياء تسيل في الطرقات بلا حساب والمعاقبة . – انصار حزب الثورة الجديدة يعقدون الاجتماعات المتتالية هنا وهناك ليشعلوا جذوة الثورة في نفوس ابناء فرنسا وليحركوا الشعب من خلفهم للقضاء نهائيا على حكم لويس السادس عشر واذنابه من الأشراف والاقطاعيين والارستقراطيين ..

.. كانت هذه الصورة الدامية بكل ظلالها القاتمة هي الصورة التي تفاعلت مع احاسيس الشاب روجيه المتأججة المشبوبة لتنطلق لحنا مشحونا بالانفعالات الجياشة الملتهبة ... وبينما كانت باريس تعج بهذه الامواج المتلاطمة كانت هناك اجزاء اخرى من فرنسا لا تزال تعيش حياتها الرتيبة الهادئة . ومن بين هذه المناطق قرية صغيرة نائية يقع فيها فندق « الديك الذهبي » الذي شهد الجزء الرئيسي من احداث هذه القصة وكان « مارتنيه » صاحب هذا الفندق واحدا من اشد المتحمسين المتعصبين للنظام الملكي . لا يرى في كل ما يحدث في باريس وفي غيرها من المقاطعات الفرنسية الثائرة الا مجرد فورات طارئة لا تلبث ان تذبل وتموت . وقد دفعه تحمسه المتطرف الى ان يطرد من فندقه كل من يتحدث بكلمة سوء عن نظام الحكم القائم مضحيا بكل ما يدره عليه تردد هؤلاء الرواد من ربح وفير .

وفي صباح احد الايام وفد على الفندق نزيل غريب تبدو على ملامح وجهه سيماء الطبقة الارستقراطية كما تؤكد ثيابه الفاخرة الانيقة انه ينتمي حتما الى طبقة الأشراف التي يكن لها مارتنيه كل تقدير واجلال . ولهذا قابله بحفاوة بالغة . وزاد في اكرامه فاستدعى له ابنته « ماري » لتكون في شرف خدمته طوال فترة اقامته . وكانت ماري تتمتع بقسط كبير من الجمال والفتنة ونضارة الشباب فامتلأت نفس الضيف اعجابا بها وراح يظهر نحوها من الاهتمام والمجاملة الرقيقة ما جعل قلب والدها يمتلئ بالامل في الحصول لابنته على زوج ثري من الطبقة الراقية . ولم يخب حدس مارتنيه ولا تخمينه فان هذا الضيف واسمه « بازن » لم يشأ ان يفاتحه عند رحيله برغبته في الزواج من ابنته ماري عند عودته الى الفندق في المرة القادمة . غير ان ماري كانت من الذكاء بحيث لم يغب عن فطنتها وعود هذا الصنف من الناس في امثال هذه المناسبات . وحاولت ان تقنع والدها الساذج بان مثل هذا الوعد ليس سوى مجرد نزوة عابرة سرعان ماتخمد وتتلاشى وسط اضواء مدينة باريس حين يعود اليها « بازن » ولكن مارتنيه لم يقتنع بهذا الرأي ولم يتخل يوما عن الأمل في ان يعود هذا الثري مرة اخرى ليفي بوعده .

وفي اليوم التالي من رحيل « بازن » وفد الى الفندق نزيل جديد عرف منه مارتنيه انه ضابط برتبة كابتن جاء الى القرية لزيارة احدى قريباته فوجدها قد ماتت وخلفت له بعض المال مما اضطره الى ان يعتزم البقاء هنا حوالي الاسبوع ريثما يسوي امر هذه التركة ثم يسافر بعد ذلك الى باريس للالتحاق بفرقة الحرس الملكي . ورحب به مارتنيه اشد الترحيب حين علم انه من انصار النظام الملكي فاقترح على ابنته ماري ان تتردد عليه بين الحين والآخر لتلبية رغبته فيما قد يحتاج اليه . وكان هذا الضابط في حوالي الثلاثين من عمره .. شابا رشيقا هادئا لا يصعب على من يتطلع الى عينيه وحركاته ان يدرك على الفور انه واحد من الفنانين الحالمين فسألته ماري وهي تجلس اليه في احدى المرات ما اذا كانت له هواية معينة ! ولما اخبرها بانه من عشاق الموسيقى انفرجت اساريرها عن ابتسامة موحية غير عادية لفتت اهتمام الشاب وفضوله فاخذ يوجه اليها عديدا من الاسئلة علة يكتشف سر هذه الابتسامة الغامضة فعرف منها انها تتمتع بصوت رخيم لا ينقصه سوى بعض الصقل والدرس وانها حاولت اكثر من مرة ان تتعلم اصول الموسيقى فحالت دون ذلك ظروف العمل مع والدها في الفندق خاصة بعد ان ماتت امها واصبحت مضطرة الى البقاء بصفة دائمة الى جانبه . فعرض عليها الشاب ان يلقنها بعض مبادئ الموسيقى خلال الفترة التي سيقضيها في الفندق ولاقى هذا الاقتراح هوى في نفس الفتاة وهنا طلب اليها روجيه ان تسمعه بعض ما تحفظ من الأغنيات الغرامية ولما اعترضت بانها لا تريد الدخول في مباريات غزلية ضحك روجيه قائلا : ان الدنيا مليئة يا عزيزتي هذه الايام بالحقد والبغضاء . ولذا اتمنى ان تسمعيني اغنية حب لأشعر ان هذه العاطفة لا تزال على قيد الحياة . انك من الآن تلميذتي فلا ضير عليك اذا غنيت لي ما اطلب منك .. وشرعت ماري تغني بصوت عذب خافت صاف هز اوتار قلب معلمها فصاح في اطراء واعجاب .. ماري .. انك خامة طيبة ! فسألته الفتاة في استحياء ان يسمعها هو الآخر شيئا من الالحان التي يحفظها فاعتدل في كرسيه امام البيانو وهو يقول

لها : حسن ·· هاك لحنا جديدا من تاليفي احب ان اسمع رايك فيه بصراحة · لقد تركت نسخة منه للفرقة التي كنت اخدم تحت لوائها عسى ان يغدو يوما من الالحان العسكرية الذائعة · لقد وضعت لحنه وكلماته ، وبدا يعزف لها اللحن في انفعال وحماس فتملكتها هزة عنيفة ، وسرى الدم في عروقها حارا سريعا وسالها بعد ان انتهى من العزف ، الآن ··· اخبريني عن رايك بصراحة ، فاجابته في لهفة صدقني ياروجيه اذا قلت لك انني كنت اتصور في ذهني وانا اسمع لحنك هذا جيوشا زاخرة جبارة تسير على نغماته الى مصير مجهول · انه اكثر من رائع انه لحن رهيب ·· انه الحياة·· الموت ·· التحدي ، النداء الذي ينطلق من اعماق الوجود ليبعث الحركة والثورة ··· فابتسم روجيه وهو يربت بكلتا يديه على كتفي ماري قائلا : هـذا صحيح يا عزيزتي فقد شعرت فعلا بعد ان فرغت من تاليفه ان حياتي الفنية قد انتهت ولن استطيع ان اضيف جديدا الى ما فعلت ثم سادت فترة صمت قطعها الضابط بحديث بعيد عن الموسيقى ··· ماري لا ادري ما اذا كان سيزعجك ان تعرفي انني سارحل غدا الى باريس ، فليس امامي سوى اربع وعشرين ساعة اسلم نفسي بعدها الى فرقة الحرس الملكي واعدك بانني سارجع الى هنا مرة اخرى في اقرب فرصة تتاح لي ، فاجهشت الفتاة بالبكاء والقت بنفسها بين ذراعي الشاب تتوسـل اليه ان يعود او ياخذها معه ، فقد اصبحت لا تطيق العيش بعيدة عنه ، واحس روجيه بشيء غامض في اعماقه يدفعه لأن يقول لماري انه لن يتركها ، ولكنه حتى الآن لم يستقر في باريس بعد ولم يعرف مصيره على وجه اليقين وقد تتطور الأمور في المدينة الكبيرة على نحو تستحيل معه الحياة الهادئة ، فربت مرة اخرى على كتفي ماري وهو يقول لها ·· سنعلن خطبتنا اليوم يا ماري وساعود اليك ريثما تسنح الظروف لتقرر مصير حياتنا معا ··

وفي اليوم التالي ودع روجيه خطيبته ورحل الى حيث كان يريد وراحت هي تستعيد ذكريات الساعات الحلوة داخل الحجرة التي غنى كل منهما فيها للآخر اعذب الالحان واشجاها ، وفي هذه اللحظة دق جرس الباب وكان الطارق هو مارتينيه والد الفتاة ، ولم تكد تفتح له حتى فوجئت به يلهث من شدة الفرح البادي على محياه فقال لها وهو يضمها بين ذراعيه في سـعادة غامرة : الم اقل لك يا فتاتي ان الأشراف لا يكذبون ·· لقد حضر الآن مسيو بازن يستعجلني الوفاء بالوعد ·· ياللسماء ستصبحين سيدة من المع نجوم صالونات باريس وستحضرين حفلات الرقص جنبا الى جنب مع عقيلات النبلاء والاشراف ·· هيا ارتدي احسن ما لديك من ثياب والحقي بي على التو في بهو الفندق فان السيد بازن ينتظرنا هناك فتلكات الفتاة قليلا ثم انفجرت باكية : لا يا ابي لقد ارتبطت مع روجيه انه خطيبي وسأتزوجه ولن اضحي بشبابي وسعادتي من اجل نبيل عجوز لا يلبث ان ينبـذني ويلفظني بعد ان ينـال مني مأربه · انني مصرة على رايي ولن احيد عنه مهما كانت دوافع الاغراء··· وطال انتظار مسيو بازن فاسرع الى حجرة ماري يستوضح جلية الأمر ، وحين علم بحقيقة ما حدث وعجز عن اقناع الفتاة بكل وسائل الاغراء لجا الى اسلوب التهديد الذي قابلته ماري باعنف مظاهر التحدي ، فانصرف وهو يتوعدها باقسى الوان الوعيـد والعقاب ·

انصرف بازن وفي ذهنه الانتقـام المروع من الفتـاة المسكينة ووالدها ، ولم يكد يصل الى قرية مجاورة حتى التقى بمجموعة من ضباط الحرس الملكي يقضون احدى لياليهم الماجنة في فندق صغير يقع على شاطئ النهر فانضم اليهم يشـاركهم كئـوس النبيذ الذي احضروه معهم من باريس وسالهم ما اذا كانوا قد عثروا في هذه القرية على فتيات يكمل بوجودهن مجلس السهو واللهو فصاحوا جميعا في عربدة وصراخ ·· لا يا مسيو بازن ·· ان هذا فعلا ما ينقصنـا ، وهنا وجد بازن ان فرصة الانتقام قد حانت فاشار اليهم ان يذهبوا الى فندق ، الديك الذهبي ، في القرية المجاورة حيث توجد فتاة على جانب كبير من الجمـال والفتنة هي ابنة صاحب الفندق واكد لهم انها فتاة سـاقطة من بنات الليل الا انها تعودت ان تتظاهر دائما امام اي قادم جديد بالعفة والشرف حتى تستطيع ان تسلب منه اكبر مبلغ ممكن من المال فصاح احد الضباط السكارى ملوحا بقبعته في الهواء ··· اوه يا مسيو بازن انني خبير بمثل هذا النوع من بنات الهوى ثم اتجه الى زملائه مـستحثا اياهم على الاسراع بالوصول الى فندق الديك الذهبي ··· هيا بنا يارفاق فمجالس الخمر بدون نسـاء افضـل منها ماتم الموتى · واندفع الضباط الخمسة ميممين وجوهم شطر فندق الديك الذهبي ، وعند الباب استقبلهم مارتينيه العجوز محييا فيهم ضباط الملك ، فصاح فيه احدهم : اذا كنت انت مارتينيه فهيـا على التو باحضار ابنتك الجميلة حتى نشرب معها نخب مولانا الملك ، ولم يفهم مارتينيـه سر اهتمام هؤلاء الضباط بابنته ماري غير انه قال لنفسه لعل احدا منهم قد نزل من قبل في فندقه ولم يتعرف عليه يومذاك ولعلهم يعرفون كذلك شـدة اخلاصه للمـلك ورجاله فاسرع ينادي على ماري وطلب اليها ـ كالعادة ـ ان تكون رهن اشارة ضباط الملك ، ولم تكد ماري تلوح عند قمة السلم حتى نهض احدهم وانحنى لها قائلا : سعدت مساء يا آنسة اسمحي لي ان اذكرك بان افراطك في الجمال لا يقل عن افراط والدك في الولاء للملك ، ترى من منا سيكون السعيد الذي تؤثرينه بالقبلة الأولى؟ فذهلت ماري لهذا التصرف السخيف وقالت وهي تجيل بصرها بين الحاضرين : ارجو ان تراعوا ايها السادة انني خطيبة ضابط مثلكم ، فقابلوا قولها هذا بعاصفة من الضحك والسخرية ولم يلبث ان انقض عليها احدهم كحيوان مفترس يقبلها بقوة رغم تمنعها ثم يدعو اصدقاءه لكي يحذوا حذوه ، وفي هذه اللحظة يقبل مارتينيه حاملا زجاجات الويسكي والصودا فيدهشه مايرى امامه من انتصاب الضباط لابنته على هذا النحو الهمجي ولا يتمالك نفسه فيهوي باحدى الزجاجات فوق راس الضـابط الذي يحرض زملاءه على الاعتداء على الفتاة ، وهنا يتصدى له الضابط بول فيطلق عليه طلقتين من مسدسه يخر بعدهما جثة هامدة ، وما ان تبصر ماري والدها وقد سكنت فيه كل حركة حتى تنفجر في البكاء والعويل ويزداد الموقف حرجا فيقترح احد الضباط شد وثاق الفتاة وتكميم فمها والاسراع بالهروب بعد اغلاق كل الأبواب والنوافذ ···

ومرت لحظات عصيبة قاسية تمنت ماري ان يعجل الله لها ابيها بالموت حتى لا تعيش معذبة في جحيم هذه الذكرى الدامية ليما بعد ·

وبينما هى كذلك اذ سمعت طرقا على الباب اخذ يزداد عنفا وشدة كلما لم يجد من يستجيب له ..

وادرك صاحب هذه الطرقات ان شيئا غير عادى لا بد قد حدث لمسيو مارتنيه وابنته فلجا الى احدى النوافذ القريبة وحطمها ليتسلل من خلالها .. وكم كانت دهشته بالغة حين شاهد مارى مكبلة بقيود مشدودة على كل جسدها وتطلع فراى والدها مسجى على الارض يغوص فى بركة من الدماء فتنهد فى اسى يقول وكانه يخاطب مارتنيه .. ليتك استمعت الى نصحى اتخليت عن بلاهتك فى عطفك على الملك ورجاله انهم دائما اشرار لا يحلو لهم العيش الا على اشلاء الضحايا .. ثم التفت الى مارى فوجد كمامة فوق فمها تمنعها عن الكلام فقال لها ساكتفى بنزع هذه الكمامة حتى استطيع ان اتحدث معك فى موضوع هام لى الآن ان اتحدث معك فيه .. لا تنتظرى يامارى ان تسمعى منى كلمة رثاء او عطف فلست حريصا على ان اسرى عنك الآن وانما اريد ان اشحذك وارهفك لتكونى سلاحا ولابد للسلاح من ان يحمى فى النار اولا ثم يغمس فى الماء البارد بعد ذلك .. لا اريد ان افك قيودك الآن بل سأتركها تعز فى جسدك بعض الوقت حتى لا تنسى المأساة التى الحقها بك انصار الملك .. لقد كان ابوك رجلا ورعا طيبا لا يذكر احد من ابناء القرية انه قد اساء الى مخلوق قط ، وها انت ترين الآن ما حدث له على ايدى هؤلاء الأوغاد .. فسألته مارى فى صوت خافت ضعيف .. وماذا تريد منى ان افعل يا مسيو لاسال .. انى مجرد فتاة فقدت امى ثم مات ابى ولم يعد لى سند اعتمد عليه فى حياتى من بعدهما .. فصاح فيها لاسال قائلا .. اريد منك ان تتحول الى سلاح بتار يقطع لسان كل من يدافع عن الملك وانصاره ورجاله ، اريدك ان تصبحى صيحة رهيبة تنضم الى صيحات الجماهير الثائرة فى فرنسا لزلزلة الطاغية لويس واعوانه ..

فطلبت اليه ان يفك عنها قيودها وان يخبرها عن اماكن تجمعات الثوار حتى تنضم الى صفوفهم ..

وما هى الا شهور قليلة حتى كانت حكومة فرنسا كلها تبحث فى كل مكان عن شخص خطير اقلق راحتها واقض مضجعها شخص يطلق عليه الثوار اسم « الشعل » .

وكان مسيو بازن خطيب مارى الاول دائب السؤال والبحث عنها لا ينفك يتقصى اخبارها فى كل مكان عرف انها ذهبت اليه ... حتى وصل اخيرا الى الوقوف عن اخر تحركاتها . وكانت رغبته فى الانتقام لا تزال متوقدة فى نفسه فاسرع الى وزير الداخلية وكان صديقا حميما له وابلغه نبأ « الشعل » والمكان الذى يختفى فيه وطلب اليه ان ينتدب الكابتن « روجيه دى ليل » من فرقة الحرس الملكى ليقوم بالقاء القبض على « الشعل » فافهمه الوزير بان الشعل من قوة النفوذ بين الثوار بحيث لا يكفى ضابط واحد لالقاء القبض عليه ولا بد لنجاح العملية من ارسال فرقة باكملها خاصة بعد ان تناهى الى اسماع الملك ان الشعل هذا يتولى بنفسه الاشراف على تنظيم اكبر قطاع من الثوار ، فوافق بازن بعد ان اشترط ضرورة وجود الكابتن « روجيه » بين اعضاء الفرقة التى ستقوم بمطاردة الشعل والقبض عليه واشتراكه هو فيها كدليل يرشدهم الى مكانه .

وبعد ساعات كانت فرقة الشرطة الحكومية ومن بينها الكابتن روجيه والمسيو بازن تلقى القبض على الشعل .

وكم كانت دهشة روجيه بالغة حين راى ان الشعل لم يكن سوى خطيبته « مارى » ابنة مارتنيه فوقف يهدد كل من يقترب منها باطلاق النار عليه ، غير ان بازن نظر اليه فى استخفاف قائلا : ماذا حدث ايها الكابتن الهمام ؟ هل كنت على صلة سابقة بهذه الملعونة ؟ فانبرت له مارى تكيل له اللعنات والسباب وافهمت « روجيه » بكل ماحدث فازدادت ثورة روجيه واعلن على التو عصيانه طاعة الملك والوقوف امام كل من يلوذ به من الأذناب والأتباع كما جاهر بانضمامه الى الثوار والقتال فى صفوفهم حتى تتطهر فرنسا من هذه العناصر الشريرة .

الا ان الفرقة بتهديد من بازن استجمعت قواها وتقدمت تلقى القبض على الشعل بينما ارجات امر عقاب الضابط روجيه ريثما يبت وزير الخارجية فى امره فيما بعد .

واسرع روجيه ينخرط بين صفوف الجماهير الثائرة التى تكاثرت اعدادها فى كل ارجاء فرنسا .

وما هو الا شهر واحد بعد القاء القبض على مارى حتى كانت الجموع الغفيرة تزحف فى شوارع مدينة باريس تجلجل اصواتها كالرعد القاصف بنشيد « المارسيليز » الذى اصبح هتاف الثوار فى كل انحاء فرنسا .

واعترت مارى وهى فى زنزانتها بالسجن حين سمعت اصوات الجماهير تملأ جو الميدان بانغام اللحن الهائج الذى كانت قد انفعلت به يوم ان اخذ خطيبها روجيه يعزفه لها داخل غرفتها فى فندق الديك الذهبى .

وكانت دموع الفرحة تنهال على وجنتيها ويكاد قلبها يطير من السعادة وهى تسمع اصوات الجماهير تقترب من السجن تنشد فى حماس وتدفق نشيد المارسيليز .

لقد انتصرت الثورة وعلت كلمة الشعب وانتهى عصر مصاصى الدماء .

وحطمت الجماهير ابواب السجن وكان من بينها الشاب روجيه الذى اندفع نحو مارى يضمها بين ذراعيه فى لهفة وشوق وياخذها بعيدا عن صخب الثوار وضجيجهم .

وفى نظرة عميقة معبرة تطلعت مارى الى عينى روجيه وهى بين ذراعيه تقول له : هل تسمع لحنك الآن يا روجيه انه الهتاف الذى يشق عنان فرنسا .. الم اقل لك من قبل يوم ان سمعته منك أول مرة انه حداء الجيوش الزاخرة الجبارة فى طريقها الى النصر .. انه اللحن الذى سيرفعك الى النصر ..

فضحك روجيه قائلا : دعينا الآن ننعم باحلى لحظات حياتنا تعال نشرب نخب فرنسا الحرة .

« عبد الواحد الامبابى »



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ١٠٥

الثمن ٣ قروش